صورة نادرة لشارع السعدون من جهة
ساحة الفردوس في الخمسينيات

حكايات برلمانية عراقية

(زعل) نوري السعيد على الصحفيين

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى
للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2003) السنة الثامنة
الإثنين (3) كانون الثاني 2011

5

الجواهري وملا جناب عالي وصندوق العقارب!!

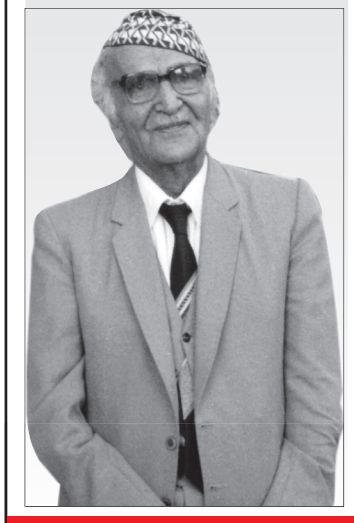

مقاهي الموصل أيام زمان

معن عبد القادر آل زكريا
باحث ومؤرخ

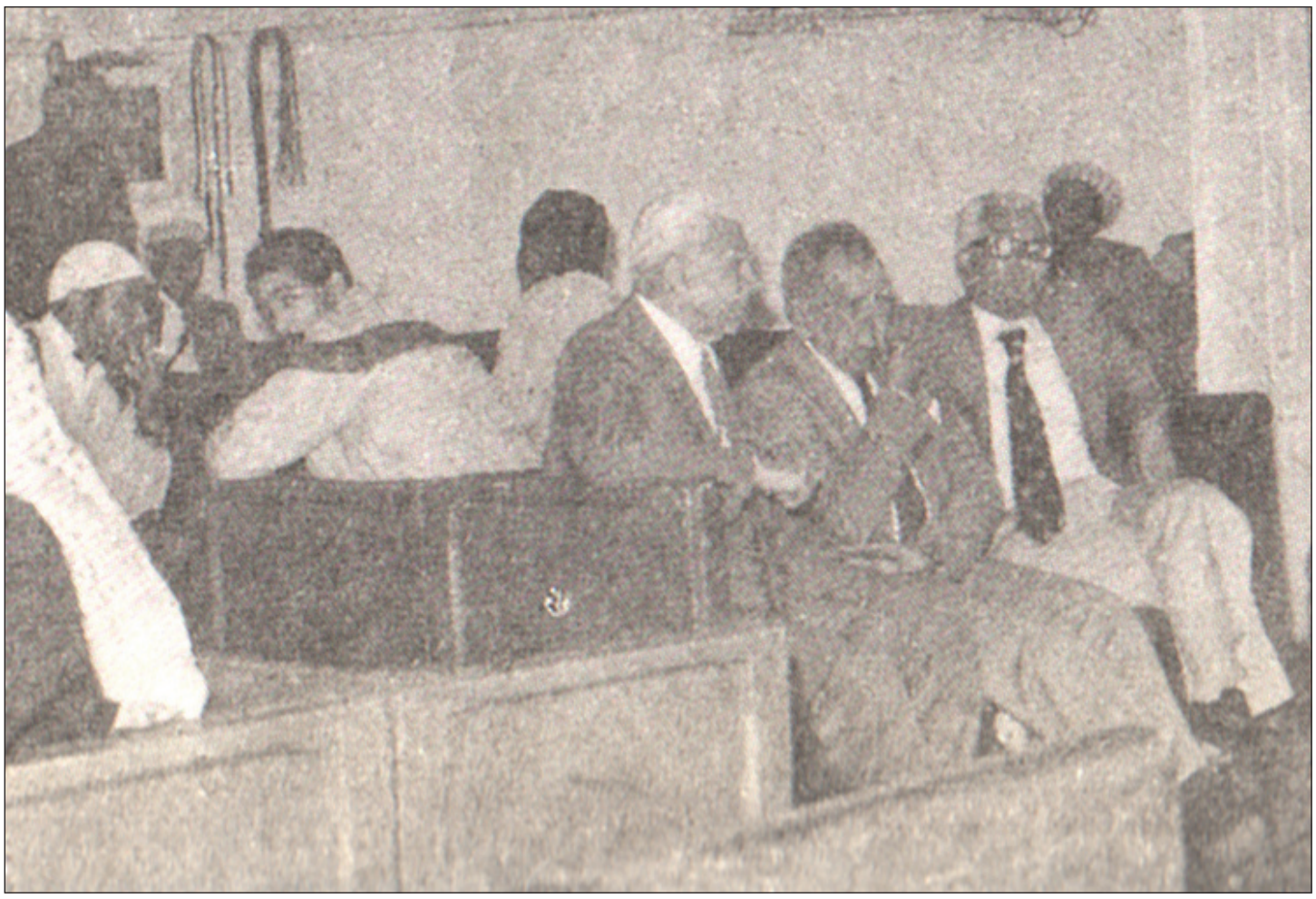

لا نجادل في حقيقة إذا قلنا أن المقهى أو الشاي خانه (توجد فروق كثيرة بين المصطلحين) ما هما سوى مكانين وجدا أصلاً للاجتماع أو اللقاء، ثم للتجارة فالاستراحة. وإذا كان للذاكرة أن تسعفنا بإسناد الرواة، آباء أو أعمام أو أخوال أو ختيارية أو تبع ما وصلنا عبر توثيق مدوّن أو مصور ، فإن الأمر في كل الأحوال يضطرنا أن نضع لتاريخ المقهى (في الموصل في الأقل) زماناً لا يرجع بالقدم إلى أبعد من عقدين لما قبل سنة ١٩٠٠، أو إلى فاتحة القرن العشرين المنصرم على أبعد احتمال.

ومن باب التذكير فإن اسم (القهوة) المصطلح ، الذي تداولته العامّة وطغى على اسم (المقهى) يدل على أكثر من معنى فهو مرّة يعني المادة المنبهة ذات النكهة المعروفة برائحتها وبمذاقها ، ومرّة أخرى يعنى المكان الذي يرتاده الزبائن لقضاء الوقت أو لممارسة تجارة أو لقضاء أعمال حسب مواعيد ، أو لاحتساء القهوة ... ثم عُمّم الاستعمال للدلالة على مكان شرب الشاي مع القهوة أو بدونها . أما بالنسبة للكازينو فقد غلب عليها طابع العصرنة ... ثم ترادفت مع شرب السوائل والبارد والمثلجات .

وتكافئ مدينة الموصل المدن العراقية الأخرى (ومنها على نحو خاص بغداد العاصمة) التي انتشرت في أسواقها وبين محلاتها التجارية عادة إنشاء المقاهي، لا بل أن بعض مقاهيها قد ذهبت شهرته مذهب الأمثال في الأغاني وفي البستات ومنها (كهوة عزاوي) التي يقال حسب ما ذكره الرواة أن المدلل كان فيها زعلانا، فضلاً عن الشهرة التي اكتسبها (إبراهيم عرب) في مقهاه وكان يدير من خلال المقهى العنتريات والسواليف الشهيرة حتى عُرف عنه بأنه من أكثر (الزمّاطين) في العراق. وهذا النوع من المقاهي المنزرع في المحلات القديمة وبين الدور ، يسمى عند أهل الموصل بـ (قهوة المحلي)، وتدعى في بغداد (كهوة الطرف) وهما تعبيران لمدلول واحد . إلا أن الموصل افترقت عن تلكم في كثرة عدد المقاهي نسبة إلى عدد السكان من جهة ، وفي التقسيم الطبقي لرواد المقاهي وتصنيفاتهم المهنية من جهة أخرى. وذلك في نظرنا له مدلول واحد ، كون الظاهرة إيّاها تدل في شكلها العام على التوسع في أعداد الشرائح العمرية التي تقع فوق سن الأربعين ، وهذا يتأتى من إيجابية الحالة الاقتصادية والاجتماعية . أما في شكل الظاهرة الخاص ، فهي تنبئ عن توسع طبقة التجار والحرفيين والعاملين في مهنة التوسط وفي البيع والشراء والزراعة ... ونحن الباحث لا يعجبنا مذهب الذين يقولون أن كثرة المقاهي مؤشر على كثرة أعداد العاطلين عن العمل في الزمن الذي خصّصناه بذكر أسماء المقاهي ومواقعها . وحتى لو آمنا بتلك النظرة – على نحو جزئي – فإن البطالة كانت وما تزال ظاهرة اقتصادية واجتماعية عامة تخص كل مدن القطر العراقي وريفه ، وليست قصراً على مكان محدد بعينه .

× × ×

وندرج فيما يأتي أهم المقاهي التي عثرنا على واقعها في مدينة الموصل وبغض النظر عن تاريخ إنشائها الذي لم نعطه أهمية تذكر ، كون تاريخ الإنشاء يوقعنا في ارتباك نروم تجنبه .

وأهم هذه المقاهي هي :

مقهى عبد هبراية – تقع على شارع نينوى وفي المكان الذي تقع فيه اليوم مقهى الشرق وقبل هدم العمارة وإعادة بنائها.

مقهى محمود هبراية – تقع على شارع نينوى من طرفه الأيمن ، ذهاباً من باب الجسر إلى رأس الجادة ، ولها باب تطل على زقاق ضيق يؤدي إلى محلة عمو البقال ويرتادها في الغالب صنف المعلمين ، وغالباً ما تُسمع فيها اسطوانات الغناء القديمة ، ومنها أرق أغاني أم كلثوم .

مقهى الشرق – لصاحبيه الأخوين صالح وجاسم أولاد شريف، طابق علوي تقع حالياً على شارع نينوى ، وكان أولاد شريف قبل ذلك يمتلكان مقهى تقع في محلة الشيخ أبو العلا خلف البريد القديم عند انتهاء شارع النجفي نزولاً من طرفه الجنوبي .

مقهى ابن عبو أقديح – وتقع في الزاوية الركنية ما بين شارع النجفي من طرفه العلوي وشارع نينوى ، وكان الطابق العلوي من البناية يحتضن مديرية معارف الموصل . وقد اشتهر ابن عبو أقديح بامتلاكه أكبر رصيد من قاونات مسجلة باسم سيد احمد بن سيد عبد القادر الموصلي المعروف بـ(ابن الكفغ).

مقهى البلدية – لصاحبه محمد بن داوود آل كشمولة – مطلة على نهر دجلة ومن طرف جسر نينوى وملاصقة لمديرية بلدية الموصل القديمة ، وتمثل في موقعها مكاناً رائعاً مطلاً على نهر دجلة وعلى حديقة الساحل الأيسر .

مقهى حيو الأحدب – تقع على شارع غازي ولها باب تطل على شارع ضيق يؤدي إلى جريدة فتى العراق وإلى دكاكين الصياغ (الصاغة) مجمع صنف باعة الذهب، وتقع مقابلها محال يونس الحاج طه تاج الطباخات والبريمزات، وبالقرب منها في الفرع تقع مكاتب جريدة فتى العراق.

مقهى الثوب – وتطل على نهر دجلة ويرتادها تجار الصوف والجلود والمصران وكبار صنف القصابين وبعض ملاك الأطيان والجلبية.

مقهى مصطفى الأعرج – مطلة على ساحة البلدية وفي موقع النزلة المؤدية إلى جسر نينوى.

مقهى الإخوان – لصاحبيه أبو سامي وأخيه وتقع على شارع غازي، وبعد أن هدمت حلّت محلها العمارة التي صارت من ضمنها محلات " باتا " وصيدلية وزقاق فرعي يؤدي إلى سوق الصياغ (مجمع صنف باعة الذهب).

مقهى كامل – وتقع في طابق علوي في الفسحة العريضة من باب السراي فوق مخزن الجمال لصاحبه يوسف بحّو (سابقا) ومن ثم محلات شمس الدين (لاحقا) وكانت تقلب إلى مسرح عصراً وتياترو في الليل على وفق ما رواه لي والدي ، ثم مشاهدتي الشخصية وأنا طفل أرافق والدي في فاتحة الخمسينات وفي العطل الصيفية ، وكنتُ قد رأيت تقسيمات الألواح المخصصة لأغراض الفرجة ... فلما سألتُ عنها ... قيل لي ما هي...!

مقهى يحيى وابنه رشاد – (صيفي وشتوي) وكانت في نهاية الأربعينات تقع في منطقة التقاء شارعي حلب والعدالة قبالة سينما هوليوود (سينما سميراميس لاحقاً) ، ثم انتقلت في السنينات وإلى نهاية الثمانينات إلى شرق المكان وفي أرض تقابل مديرية المتحف ويقع في أرضها اليوم (سابقاً) مطعم تيسير ثم شركة نقليات (سابقا) . وكانت تضم في الغالب صنف البنائين والمقاولين ومتعهدي النقر والحلان وجمهرة والمعلمين.

مقهى ام الربيعين ، والشهيرة بمقهى أبو داهي ، الواقعة في طابق علوي قرب موقع سيارات في شارع نينوى (محلات ابن حديد سابقاً) وقبالة جامع الباشا ، ويعمل فيها القهوه جي المشهور (الملا) وهو شقيق القهوه جي المعروف إبراهيم ابو فاروق ، والمشهور (إبراهيم ابو دشداشة).

مقهى طاهرو – تقع على شارع حلب قبالة سينما هوليوود – سينما سميراميس اليوم ، ثم فتح طاهرو كازينو أخرى بأسمه على شارع المطار في نهاية الدواسة ، ومقابل باجة أبو مزاحم ... لاحظ تشابه الأسماء (ابو مزاحم الباجه جي ...!!).

مقهى أحمد باري – طابق علوي تقع في محل يقوم مكانه اليوم جزء من شارع الكورنيش مقابل الثانوية الشرقية . ثم افتتح احمد باري كازينو صيفي على طريق شارع المطار .

مقهى عباس – قبالة مركز العام . يرتادها الشرطة والمتقاعدين ومن العيون المساعدين (الشرطة السريين) والمخبرين وعناصر التحريات الجنائية والتحقيقات الخاصة.

مقهى ابن العناز– وتقع قبالة مركز العام في طابق العمارة العلوي الذي تقع تحته محلات حازم عفاص وعبد القادر الارحيم وعزيز فتحي تاجر الدراجات والتوتونجي زكي كرجية وبائعو الجرزات أولاد مراد .

وباب المقهى يقع من طرف جانبي يطل على سوق علوة الحنطة التي لها باب آخر يؤدي إلى شركة الأنكرلي وماكنة طحين الحاج عبد وكراج القيارة . ومن هذا الباب الثاني لعلوة الحنطة نروح ذهاباً إلى كراج حمام العليل وباب لكش . ويقوم مكانها اليوم جزء من سوق القصابين الواقع إلى طرف الشمال شرق من بناية المحافظة. ويتفرع من جانب الباب الواقع قبالة مركز العام طريق فرعي يؤدي إلى محلات سعيد حديد والمحامي عمر النوح ومن ثم يؤدي إلى موقع عمل كتّاب العرائض المرتصفين في هذا المكان انتهاءً بالبريد القديم وخلفه يقع فرن متي أبو حازم المخصص لشوي البقلاوة وعمل القوازي ، ورؤوس الأغنام المشوية والموضوعة على صينية معدن مستطيلة الشكل ، ويضع في فم كل رأس حبة من الطماطم الحمراء (الأفرنجي).

مقهى يحيى الكشمولة – وتقع في طلعة الجسر القديم من طرفه الأيسر صعوداً إلى شارع نينوى .

مقهى فاضل – في ركن دورة الساعة تحت جامع الصفار.

مقهى محمد ججو – تقع بجانب ستوديو روكسي وستوديو بغداد وقبالة الثانوية الشرقية. وكان يرتاده شباب الطليعة العربية من القوميين وسواهم .

مقهى المستشفى – تقع قرب دورة المستشفى ومجاورة لبقالة محمود قنديل .

مقهى طه أمين – مقهى صيفي وتقع في منطقة النبي يونس .

مقهى أبو زكي – في الدواسة ، ويرتاده بعض الشباب المثقف من أهل اليسار ، فضلاً عن المخبرين السريين – ويا لغرابة التوافق .

مقهى السويدية – في باب الجبلين ما بين تقاطعات أزقة باب النبي من جانبها العلوي وأزقة محلة الجامع الكبير ومحلة المكاوي ، وصاحبها يدعى إبراهيم باتري ، واشتغل فيها مساعداً له في بعض الأزمنة عزيز الأعور بائع الدوندرمة صيفاً والمستوى (الشلغم) شتاءً ، فضلاً عن كونه السباح المعروف الذي يقفز طيارة من شاهد قره سراي إلى

نهر دجلة بينٍ تصفيق الشباب وتهليلاتهم ، ثم هو رامياً (للجطل) من الدرجة الأولى. وهو شقيق يحيى (حياوي) الماهر في ركوب الموتور سايكلات من دورة المستشفى إلى بداية موقع معسكر الغزلاني وهو واقف على مقعد الجلوس بطول قامته . وكانت تقرأ في هذه المقهى العنترية في عقود سالفة ، وهي صيفي وشتوي.

مقهى صنف البنائين في الساعة – مقابل كنيسة الساعة ، وبعد أن أزيلت حلّت محلها عمارة من ضمن أبنيتها محلات "باتا" والتي أزيلت هي الأخرى.

مقهى سوق الصغير – ونصل إليها من شارع النجفي خلال الزقاق الذي يقودنا من محل زهير محمد صالح الخطاط انتهاءً بقرب جامع خنجر خشب . كانت تقرأ فيها العنترية ثم تحولت إلى معمل لصنع حقائب الملابس الحديدية الكبيرة والحقائب المدرسية الصغيرة لصاحبها محمود ساري وابنه توفيق ، ثم صارت فيما بعد إلى ساحة مهجورة .

متنزّه الفاروق الصيفي – الذي انتعشت سمعته في أواسط الخمسينات ثم صار إلى هجرهِ في بداية الستينات لينتهي إلى جعله موقفاً للسيارات . ويقع اليوم في مقدمته فرناً لعمل الخبز ، ومن هناك يؤدي منها الذهاب إلى حضيرة السادة .

مقهى صفو– في باب الجديد .

مقهى صالح القدوري – تقع في محلة الخاتونية ، وبالقرب من دور آل العاني.

مقهى المصبغة – تقع في شهر سوقي قرب دار المحامي زياد الجليلي ومجاورة لجامع عمر الأسود . ويمتلك هذا المقهى أولاد نني (حازم وغانم وسالم) وتعرض فيه (القبوج) من أرقى الأصناف . وقد وصلني أن أحد المغرمين بتربية القبوج من آل عبيد أغا اشترى (قبجاً حبيسياً) بمبلغ خمسين دينار سنة ١٩٦٨ ...!!

مقهى فرحان أبو الكاز – تقع في منطقة شهر سوقي وعلى الطرف الثاني – عبر الشارع – من مساكن الجليليين . كما أن فرحان أبو الكاز أنشأ كازينو صيفي تقع إلى الجانب ألايسر من الشارع الذاهب من جسر الملك فيصل الثاني (جسر الحرية) باتجاه نبى الله يونس . وكانت لها شهرة واسعة في الثمانينات ، ويرتادها زبائن مخصوصون دائمون.

مقهى الفجر العربي والتي تغير اسمها فيما بعد إلى مقهى ليالي الموصل – تقع على شارع نينوى فوق صيدلية شفيق الهس وقرب مفترق شارع نينوى مع شارع النجفي ، ثم صارت تحتها بقالة فواكه لصاحبها احمد شقيق محسن جعّية لاعب كرة القدم الموصلي الأشهر ، والذي اشتغل في آخر سني حياته في معمل النسيج مدرباً لفريقه .

مقهى الطليعة – في الصياغ لصاحبها عبد خروفة . وباب المقهى جانبي مجاور لبواري حديد الصياغ من طرف شارع النجفي .

مقهى ١٤ تموز – وتقع قبالة التقاء شارع غازي بشارع نينوى – طابق علوي ، وكانت المقهى وزبائنها محسوبين على الشيوعيين على نحو عام ، وعلى أهل اليسار على نحو خاص.

مقهى محمد فرج – وتقع قرب محلات النقليات الذاهبة إلى أربيل وكركوك في شارع العدالة قرب شارع الصابونجي .

مقهى ناجي – وتقع في بداية شارع العدالة من طرف باب الطوب ، ثم صارت إلى مجموعة محلات ستوري وجبوري إخوان لبيع البولبورينات ، وجوارها تقع محلات سليمان الحموشي وعبد الجبار حامد لبيع إطارات السيارات .

مقهى سوق الخيل – وتقع إلى الأعلى من منطقة باب الطوب من طرف بائعي الساعات القديمة وأهل الخردة فروشيات والمزادات وبيع الخناجر وبوكسات الحديد ، ويرتادها

هواة الطيور وجامعي (المسبحات الكهرب) ، ومن أشهر من عمل في كار المسبحات المرحومين عدنان بن عمر أغا التوتونجي والمعلم محمد نوري .

مقهى حمه باوه – وتقع قرب كراج آرتين الأرمني للنقل بالسيارات داخل الموصل والى مصايف الشمال .

كما توجد مقهى في المثلث المحصور في الشارع الصاعد من سوق الشعارين إلى إمام إبراهيم – دكة بركة ، وذاك الشارع القادم من المكاوي الذاهب إلى منطقة الميدان فيما كان يعرف بشارع عارف السماك .

مقهى فتحي – وتقع في بداية شارع النبي جرجيس – سوق الشعارين ، ورواده جلّهم من صنف البنائين والنقارين . وكان صاحب المقهى فتحي ، ذلك الرجل ضخم الجثة يرتدي دشداشة لا لون لها بل رائحتها خليط من سبعة انواع ، وعرقجين أبيض مقلماً باللون الأصفر يميل قليلاً إلى السواد . وتميل بشرة جلد فتحي بغزارة إلى اللونين القهوائي والأسود . وقد روى لي صديقي نبيل الخفاف (تقع دارهم) في مكان مقابل مقهى فتحي في مدخل الزقاق المؤدي إلى باب النبي جرجيس . قال صديقي ان بصمات ابهامي يدي فتحي قد أزالهما نهائيا (ادباغ الجاي) ، ثم هو يمسك العملة المعدنية (فئة العشرين فلساً) بين سبابته وابهامه (المخشوشنتسن) فيفرك العملة المعدنية ليصار إلى أن تزول عن العملة الكتابة المنقوشة عليها مع صورة الملك إزالة تامة ...!

توجد مقهى مقابل حمام بور سعيد في دكة بركة وعلى ناصية الزقاق العريض القادم من المكاوي والذاهب إلى الشهوان ، ويرتادها الجماسة والختيارية من أهل المنطقة.مقاهي متفرقة في رأس الجادة وباب سنجار وفي منطقة النبي شيت وفي دورة باب الجديد – شارع الصديق – المحطة.

مقهى أبو صيفي وشتوي وتقع قرب نادي الفتوة الرياضي ومزادات بيع الأثاث في منطقة باب الجديد، ويرتاده ختيارية باب الجديد محلة السجن، وتقع إلى جواره مقهى روادها جميعاً من هواة سباق الخيل وتوزع فيها جريدة المضمار وتقع قرب محلات طرشي الرسول.

كازينو بور سعيد الصيفي – تقع بعد عبور جسر الجمهورية في الساحل الأيسر (من طرفه الأيمن) لصاحبها عبد خروفة .

كازينو الحمراء – وتقع على رأس الزاوية المحصورة بين شارع حلب من جهة وشارع العدالة ، وقبالة ملهى السفراء والمزين الأرمني كيغام ، وكان يرتادها المعلمون والمدرسون على نحو خاص .

كازينو سعد – وتقع على زاوية شارع فرعي ضيق مع شارع العدالة وقبالة مقهى يحيى. وكان روادها من الشباب لاعبي الأزنيف وطلاب الجامعة ، وصاحبها هاوي الخيل ومربيها المعروف طه شويت بقال البجاري، وهو شقيق بائع التحفيات ياسين شيت تحافي الواقع محله على شارع العدلاة وبالقرب من خياطة محمود ثابت.

كازينو السويس – وتقع على شارع العدالة قرب بوفيه السويس لصاحبه الأرمني آكوب والد الدكتورة سيروهي، وكان مشهوراً بعمل الباسطرمة القيصري .

كازينو النهرين – وتقع على شارع العدالة جوار مطعم النهرين لصاحبه يونس الشاهين البجاري (أبو تحسين) . وقد اكتسبت شهرة كبيرة طوال عقد الستينات وبعضاً من عقد السبعينات .

كازينو أطلس – وقد اكتسبت شهرتها في عقد السبعينات . وقد تحسب – إلى حد ما – تعويضاً عن كازينو النهرين في لم شَمل المبدعين . وكان يرتادها الكتّاب والأدباء والشعراء وكل المعنيين بالثقافة من جيل الستينات . وكانت هناك حارة خاصة تجمع الشاعر الراحل ذو النون شهاب أشهر لاعب أزنيف في العالم والراحل عمر الطالب وآخرين من مثل طلال حسن وعبد الباري عبد الرزاق النجم وسعد الدين خضر وأنور عبد العزيز ويوسف البارودي. وقد شهجت كازينو أطلس في أواسط السبعينات مناظرات صاخبة وجدالات عميقة في شتى انواع المعرفية الأدبية والسياسية والفنية . وكان يعد الدكتور عمر الطالب بحق ، المحور الأساس في اجتماعات الشلل في هذه الكازينو ، فضلاً عن التجمعات الأخرى التي كان يعقدها في دارته ويستضيف فيها كل من يود الحضور في تلكم الندوات.

مقهى الفجر العربي والتي تغير اسمها فيما بعد إلى مقهى ليالي الموصل - تقع على شارع نينوى فوق صيدلية شفيق الهس وقرب مفترق شارع نينوى مع شارع النجفي ، ثم صارت تحتها بقالة فواكه لصاحبها احمد شقيق محسن جعّية لاعب كرة القدم الموصلي الأشهر ، والذي اشتغل في آخر سني حياته في معمل النسيج مدرباً لفريقه .

ذاكرة عراقية

× × ×

وإذ تسارعت عقود السنين ركضاً أو خبباً وآخرها عقد السبعينات ، دخل العراق على نحو عام والموصل على نحو خاص في بودقة جديدة من الحالة – ليست كسابقاتها – ليصير الأمر إلى تقلص أعداد المقاهي ، مثلها (مثل اشياء أخرى لها علاقة بالحرية وبالهواء الطلق) وانكفاء الأصحاب من أهل الكار عن مواصلة أعباء المهنة ... بل تفرق الجمع من طلبة ومعلمين وأصحاب مهن وختيارية بين أزقة أضلاعهم ، يمضغون آلامهم ، ويتأوهون على ازمنة كانت فيها تخوت الخشب المتهرئة خير نديم صامت لهم ، يبثونها شكاواهم ، ويأتمنونها على بصاقات ملونة يمسحون بها شواربهم ذهاباً إلى أسفل مشاياتهم وأنعلتهم ... ويحمدون الله على نعمائه وحسن المنال ... وما آل إليه الحال .... وأن العافية درجات ...!

... وإذ صرنا إلى عقد الثمانينات صارت المقاهي إلى انقراض ، وكنّا جميعاً نقرأ ما خط على آلاف اللافتات السود ، المعلقة على آلاف الجدران المتآكلة ... (انتقلت إلى الحياة الأخرى مقاهي الموصل ... لأجل أن تدوم راحة عيون الزبائن وأرجلهم وظهورهم ... عسى الله ان يجعل من دورهم أفضل الأمكنة للتعرف على الأسرة عن قرب ... ومجالسة الأطفال السعداء مجالسة حداثوية ... ومصاحبة الزوجات صحبة الخلّ للخليل...!).

احدى ساحات الموصل

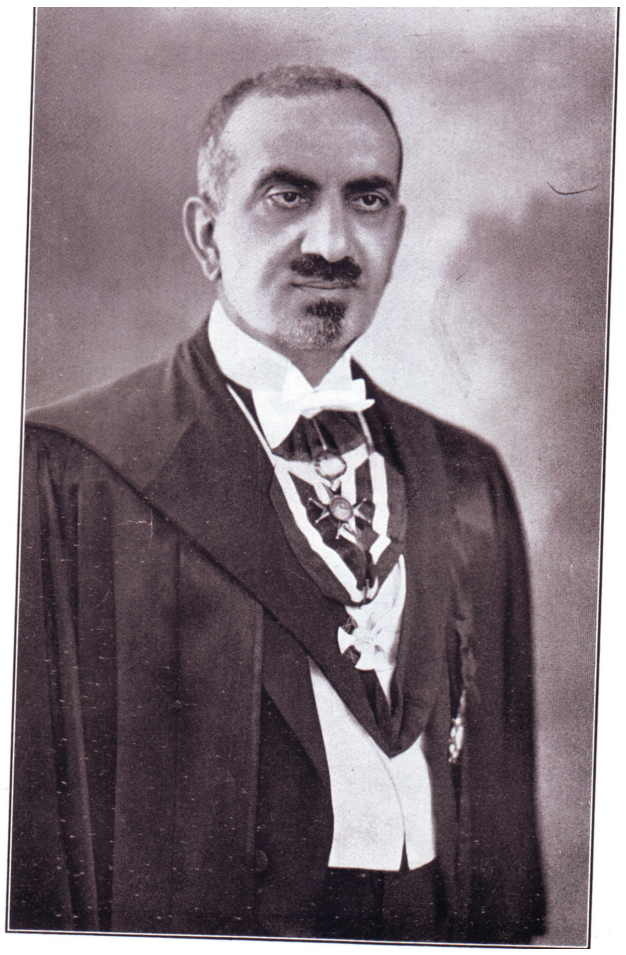

حكاية وزير الصحة
العراقي الأول

عندما تأسس الحكم الوطني في العراق منذ سنة 1921، كانت للكفاءة الموصلية مكانتها ومساهمتها في البناء المؤسساتي وفي مجال التشريع وسن القوانين، وذلك عبر نخب من الشخصيات التي أدت أدوارها بكل كفاءة واقتدار، ففي المجال الصحي مثلاٍ يبرز لنا د.حنا خياط بوصفه الوزير الأول للصحة في العراق وله برنامجه الصحي المهم. ومن الأهمية التعريف به وبأدواره في المجال الطبي والمهني وسعيه لنشر الثقافة والوعي الصحي في العراق . ولد حنا خياط في الموصل 1884، وبعد تلقيه العلوم المدرسية، تطلع نحو تحصيل العلوم في الخارج، حيث حصل على درجة البكالوريوس في العلوم والآداب من الجامعة الفرنسية في بيروت سنة 1903م، كما حصل على درجة الدبلوم في الطب من جامعتي باريس واسطنبول سنة 1908م وانتخب عضواً في الجمعية الطبية والجراحية في بروكسل.

د. ذنون الطائي

وحينما عاد إلى الموصل انتخب أثناء الحرب العالمية الأولى نائب رئيس "جمعية الهلال الأحمر" في المدينة، وشغل منصب رئيس المستشفيات الملكية فيها خلال الفترة ١٩١٤-١٩١٩. وبين سنتي (١٩١٨-١٩٢٠م) عين طبيباً في مدينة الموصل. وانتمى إلى "النادي العلمي" فيها، وشارك بنشاطات فعالة، وبخاصة في محاضراته التي ألقاها على الأعضاء.

وبعد تأسيس الحكم الوطني شغل منصب وزير الصحة سنة ١٩٢٢م ويعد الوزير الأول للصحة في العراق، كما تولى رئاسة مديرية الصحة العامة للفترة (١٩٢٢-١٩٣١)، فضلاً عن ممارسته منذ سنة ١٩٢٦م تدريس الطب العربي في كليتي الحقوق والطب في بغداد وفي سنة ١٩٣١ م عين مديراً عاماً للخارجية ثم مفتشاً عاماً للصحة سنة ١٩٣٣م. ومديراً للمستشفى الملكي وعميداً للكلية الطبية الملكية سنة ١٩٣٤م. وهو طبيب ماهر وكاتب مجيد له آثار طبية وكتابات في علم الاجتماع، وهو مؤرخ باحث، وله معرفة واسعة في اللغات الأجنبية.

ويعد حنا خياط واحداً من المثقفين المستنيرين الذين امتلكوا فكراً اصلاحياً للحياة والمجتمع، وقد كان لتخصصه في الطب وثقافته الواسعة في أحوال المجتمع الدور البالغ في تطور الأمور الطبية بمدينة الموصل أثناء توليه منصب رئاسة المستشفيات الملكية، ويتضح ذلك فيما أعده من خطط إصلاحية لرفع كفاءة الجهاز الطبي فيها .

كذلك من خلال أوامره حينما نصب وزيراً للصحة في العراق. فضلاً عن مساهماته في حملات التوعية الصحية بما نشره في الصحف من مقالات صحفية رصينة تهدف إلى النهوض بالواقع الصحي للبلد. ففي تقرير إجمالي عن الأحوال الصحية في الموصل منذ الاحتلال البريطاني لها حتى شهر سبتمبر ١٩١٩م، تحدث حنا خياط عن الإهمال في مرافق المدينة أثناء فترة السيطرة العثمانية وعزا أسباب التخلف الصحي إلى إهمال السلطة في الوقت الذي كانت السلطة تعزو القصور في هذا الشأن إلى الأهالي ناكرين عليهم استعدادهم للترقي الصحي، وأردف خياط قائلاً :"إن الأسباب كلها عن الرجال الذين كانت بيدهم أزمة الإدارة وقد رجحوا منفعتهم على مصلحة الرعية، فان التثبت الذي كان يقع من دائرة الصحة إلى البلدية بشأن التنظيفات كان يتخذ وسيلة لقضاء منافع شخصية.وكان يصرف المبلغ المخصص للتنظيفات وقدره (٦٠٠) روبية لكل شهر في وجوه مجهولة ".

وبغية الاطلاع ميدانياً على الأوضاع الصحية في البلد واصلاحها قام الرجل بالذهاب مع المأمورين الى دائرة البلدية وساهم في عملية التعجيل بتنظيف البلدة خلال مدة قصيرة ،وقد نجح في دفع البلدية لاجراء التنظيفات بواسطة المختارين وشكلت مزابل صغيرة في كل زقاق. ومن الإجراءات المتخذة هي قيام الإدارة الصحية مباشرة بشؤون التنظيفات وإنشاء المزابل وسد الخرابات وتعيين نقاط في أحياء البلد مع مأموريها ومراقبة الاعمال والاشراف على بعض الحرف ثم إصلاح "المسلخ" ونقل اللحوم الى البلد وانتظام الكنس يومياً ورفع الأوساخ إلى خارج البلد .

وقد تناول حنا خياط بالتحليل دراسة الاوضاع الاجتماعية للاهالي محاولاً الوقوف على اسباب التقهقر الاقتصادي والاضمحلال الاجتماعي. إذ قام بتوضيح وسائل ترقية الأمم ، ثم تعرض الى تشخيص اسباب الانحلال في العراق وعزاها الى سببين اثنين: الأول (اجتماعي) بسبب ندرة المدارس المنتظمة والتي عملت على "اندثار الجنسية والعنصر واللسان فان هذا الخلل كان كجرثومة الوباء غرسها الدور السابق كيداً وعمداً فلم ينج منها سوى من كان معمماً.. وفقدان المحافل الأدبية لتقاضي الشبيبة بها عن المجتمعات اللاهية ". أما السبب الآخر: فهو (سياسي) إذ أشار حنا خياط إلى أن "العراق منذ حدوثه لم يكن له كما كان لسائر الأمصار، حكومة خاصة به قائمة بذاتها".. ودعا حنا خياط إلى شحذ همم الرجال الذين إليهم تعول في المعضلات ومنهم تستنجد الآراء السليمة إزاء هذا البحر السياسي المتموج، وختم حنا خياط آراءه بالقول : "إن أهل الرقي كما يعلم في اجتماع الكلمة والسعي وراء الضرورة قبل الكمال واجتماع الكلمة قائم في (نخبة الأمة) ونخبة الأمة في من ضحى غايته لوطنه، وأما العدل فلا يقوم إلا إذا اهتدى المرء بكمال حريته صراطاً مستقيماً فعرف نفسه وعرف حق أخيه وأصاغ السمع لواجبه الوطني واعترف بحق دولته" .

وفي خطاب ألقاه حنا خياط بمناسبة افتتاح أعمال المستشفى الملكي في الموصل، تناول موضوعات اجتماعية وصحية عديدة، إذ أشار إلى أهمية الإنسان في الوجود وأكد أن البقاء من لوازم الوجود فالإنسان من حيث انه موجود ترشده البداهة إلى معرفة نواميس الطبيعة الضامنة لحفظه فتحفظ كيانه ومن حيث انه كائن مدني مكلف بحفظ نوعه تهديه القوة العاقلة إلى الأحكام الأدبية الكاملة فتحفظ نوعه، وأشار ايضاً إلى أن هذين الواجبين والمبدأين معاً أي الذاتي والنوعي اللذين هما أساس كل العائلات فالملل والشعوب .

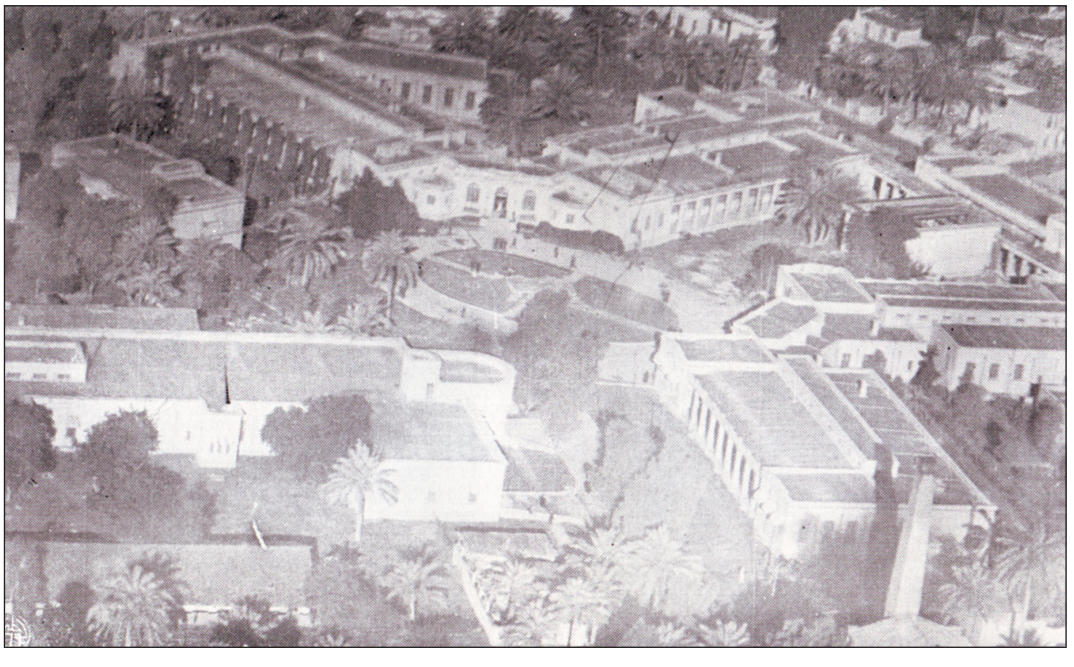

كما تعرض حنا خياط الى اسباب كثرة الوفيات بين الاطفال وانتشار امراض التدرن وانتشار الحشرات المتنوعة في الدور والازقة وقلة النمو في سكان البلد نتيجة سوء الادارة. وعدم الاهتمام في الاصلاحات الطبية ،وبين الرجل بان الامراض الزهرية قبل الحرب العالمية الاولى كانت في البلاد قليلة جداً ولكن اتسع نطاقها اثناء الحرب ،اما الاحوال المرضية العارضة كالجروح المتنوعة والتسمم والقتل فيشير الى انه سنة ١٩١٥م بلغت (الالف) شخص في حين انخفض هذا العدد كثيراً سنة ١٩١٩م حيث بلغ عدد المقتولين (٩) والجرحى (٦٠) ولم يذكر أي حالة تسمم .

ودأب حنا خياط على نشر المقالات الإرشادية في المواضيع الصحية التي تتناول طرق الوقاية من بعض الامراض السارية والتنبيه إلى كيفية معالجتها ومكافحتها، ففي تناوله لموضوع مرض الحمى التيفوئيدية، تطرق الى كيفية الاصابة بها وطرق علاجها،وأشار إلى أن "الانتبيرين هو احسن واسطة لمقاومة الصداع اثناء الحمى التيفوئيدية ويقتضى اقتضاء اً تاماً ان تعطي " الكينين" واملاحها بالمقاييس المشروطة اثناء الحمى التيفوئيدية."

وفي موضوع "بثرة العراق ومصير تداويها" اوضح حنا خياط ، ان بثرة العراق هي آفة أهلية معروفة عند العامة (بالاخت) وفي اصطلاح الاطباء (بالسنمنيوز) وأشار إلى أن هذه الآفة تظهر على سطح الجلد وعلى القسم المكشوف منه وهي ذات طبيعة التهابية بطيئة السير مع الميل لاجراء تخريبات كلية او جزئية عمقاً ومساحة في الانسجة الجلدية المستوية عليها، ويعزو حنا خياط سبب البثرة الى عدم الاعتناء في النظافة الجلدية، وقسم ادوار نموها الى (٤) اقسام واوضح اطوار كل دور. اما طريقة علاجها وتداويها فتحدث عن المألوف منها قائلاً :"ان نغسل البثرة غسلاً محكماً (بالالكتول) بحقن تحت البشرة وعلى قدر الامكان بين البثرة والجلد..وبمقدار من محلول (الايمسيتين) وحسب سعة البشرة ثم يكرر الاحتقان مرتين او ثلاثة في مدة اسبوعين ."

وحينما تسلم حنا خياط وزارة الصحة، اجتمع مع أطباء العاصمة وتباحث معهم في السبل الإصلاحية الكفيلة بتحقيق النهوض الصحي العام في القطر، وأكد بان أساس العمران والدليل القاطع على المدنية الحقيقية هو المحافظة على الصحة والقضاء على الشوائب والأعراض المرضية، وفي صدد حديثه عن منهاج الوزارة قال :"فمنهاجنا ايها السادة هو الاقدام على كل ما يؤول إلى تحسين الصحة العمومية وإكثار النفوس واستئصال الأمراض السارية والاجتماعية.. فالبناء نعرفه وهو ترميم صحة العراقي ومحافظة الجنس في القوم العراقي ذلك القوم العريق في العنصر والشريف في المباديء والقريب في التطور ..فعلينا أن نصلح ما فسد.. ونستنفذ الوسع في إصلاح سوء تركيبه ونحاول تخفيف وطأة الأمراض الاجتماعية .

كما تطرق حنا خياط إلى ضرورة مشاركة الحكومة في الجهود الصحية المبذولة عن طريق، تأسيس المستشفيات والمستوصفات والمخافر الصحية في سائر أنحاء البلاد، والحث إلى استمالة الأهالي للتطبيق عن طريق المحاضرات والصحف وإنشاء مجلة صحية، وختم كلامه بالمطالبة بتأسيس جمعية للأطباء للرفق بالمعلولين والفقراء .

وقد ذكره هاري سندرسن عدة مرات في مذكراته ووصفه بقوله :

"كان الدكتور حنا خياط المدير العام للصحة ، وهو مسيحي من اشهر الاطباء العراقيين في ذلك الوقت ، فلقد امضى في الخدمة لدى الحكومة التركية عشرين سنة قبل ذلك الوقت ، وكانت معلوماته عن المشاكل الصحية التي تواجه الحكومة فريدة في بابها ،وحين احيل على التقاعد بعد عدة سنوات ، عين عضوا في مجلس الاعيان " .

لقد اجتمع حنا خياط مع الملك فيصل الاول في ٢٢ تشرين الأول سنة ١٩٢٢وتباحثا في الأمور الصحية والاجتماعية ، وكان خياط قد اعد مشروعاً اصلاحياً لمدة ١٠ سنوات ، قدمه إلى الملك فيصل وشرع بتنفيذه منذ اول تشرين الثاني من العام نفسه حتى عام ١٩٣٢.وقد ارتكز هذا المشروع على الأسس التالية .

١.ربط مختلف المصالح والدوائر الصحية والطبية بتشريع طبي خاص وموحد .

٢. تأسيس تشكيلات صحية عصرية ثابتة تتماشى مع الادارة العامة ومقتضيات العصر .

٣.تزويد دوائر الصحة بملاك ثابت من الاطباء الاختصاصيين والعاملين الماهرين في الصحة قدر الامكان.

٤.تخصيص منشات صحية بابنية ملائمة كالمستشفيات والمستوصفات والمعاهد لتحل محل الابنية القديمة التي لم تكن تتلاءم ومقتضيات العصر الراهن .

٥.تاسيس كلية طبية ملكية عراقية مع ملحقاتها كالمدارس الصحية والمعاهد والصيدلية والقبالة ودور التمريض، لتخرج الكوادر الصحية المتخصصة ، لتحل محل الكوادر الأجنبية .

٦. العمل على إيفاد الكوادر الوطنية الى الخارج وفق تدابير خاصة للتخصص في مختلف حقول الطب بإرسالهم إلى المعاهد الأجنبية مع استقدام الكوادر الاجنبية المتخصصة للاستفادة من كفاءتهم .

٧.اتخاذ التدابير اللازمة للوقاية من الامراض المعدية والمزمنة عن طريق انشاء "مستشفيات" في بغداد والموصل والبصرة .

٨. تأمين الإشراف الصحي والإسعاف الفوري في المراكز الحيوية كدوائر السكك ودوائر المعارف وغيرها .

٩.اتخاذ التدابير اللازمة لرفع الوعي الصحي في الريف والعمل على نشر المستوصفات والمراكز الصحية في القرى والأرياف .

العمل على زيادة الوعي الاجتماعي والصحي فيما يخص قضايا السكن الصحي وتصفية مياه الشرب وتعميم طرق النظافة ، وكيفية نقل الجنائز والاهتمام برعاية الأمومة والطفولة،والعمل على مكافحة البغاء والتنبيه من مساوئ الأمراض المعدية.

أوراق من الماضي

من سنوات طفولته في النجف ..
الجواهري وملا جناب عالي وصندوق العقارب !!

جواد الرميثي

كثيرة هي المواقف التي مرت على شاعرنا محمد مهدي الجواهري عندما كان صبيا ومن تلك المواقف التي ظلت عالقة في ذهنه ورواها في أكثر من مناسبة،حكاية عن (صندوق العقارب والأفاعي.(

وملخص هاتين الحكايتين يوم أرسل الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر ابنه، ابن السادسة او السابعة من عمره (مهدي) وهو الاسم الأصلي للجواهري قبل أن تضاف أليه كلمة (محمد) حيث جرت العادة عند بعض العوائل العراقية المسلمة ان تسبق الاسم بكلمة (محمد) أو (عبد) على قاعدة (خير الأسماء ما عبد وحمد)، إلى الملا (جناب عالي) ليتعلم القراءة وكتابة النسخ وحفظ القران وكان هذا (الملا) شيخاً مهيباً يجمع بين البهاء والجمال والقسوة التي ما بعدها قسوة وقد ذاع صيته بين أبناء مدينة النجف الاشرف في التعلم بداية القرن العشرين المنصرم، الذي لا يكاد يخرج عن دائرة تعليمه أي من أبناء الأسر المعروفة في تلك المدينة وكان مكانه في الركن الثالث من الدور الأول للصحن الحيدري الشريف.

لقد عاش الجواهري مرعوباً من قساوة شيخه هذا فإذا صفا الجو عكره فهو يرسل على الولد منهم ويرعبه، بسبب أو من دونه وذلك بفتح صندوق رهيب كان يملكه يحتوي على أنواع من العقارب والأفاعي وبعدها يطرده بعيدا عنه وكان الشيخ يبتغي بذلك هيبة لنفسه فيهم وبالمقابل فأن تلك الصورة المخيفة (للعقارب والأفاعي) تبقى تقض مضاجع الأولاد..!

كان الشيخ يغلق باب الغرفة وينهال على الطلاب ضربا ويعد كل ذلك وسيلة ناجحة في التربية والتعليم !! حيث أن الرجل عندما يذهب بابنه إليه يقول له (الك اللحم والي الجلد والعظم!) وعندما يتأخر (مهدي) قليلا عن حضوره الدرس، لأي سبب كان، فأن جناب عالي تثور ثائرته ويظهر جبروته على هذا الطفل ويأخذ بملاحقته وهو يحمل حزمة من العصي، والطفل يركض خائفاً مذعوراً من هذا الأسد الجبار، وأضخم شخصية مرعبة في حياته: فأين يذهب ؟..وجاءت الفكرة !!..

فلشيخ جناب عالي يمتلك حب ماء (بكسر الحاء) عزيز جداً عليه، وكان فارغاً كون الفصل شتاءً، وبغريزة الدفاع عن النفس... قفز مهدي ورمى بنفسه وسط هذا الحب، وشعر بالامان، لانه من المستحيل ان يضحي الشيخ بحبه العزيز او ان يصبر اذ مسه احد بسوء..

واخذ الشيخ يتوعد مهدي ويلوح له بالعصي ويذكره بصندوق العقارب والافاعي ولكن الطفل ظل مقيماً في الحب، لأنه يعلم جيداً أن جناب عالي لن يضحي بالحب مهما كان الأمر، وبعد أن يئس الشيخ من ان يخرج الطفل، اعطاه الامان بان لا يمسه بسوء ان خرج، وانه (جناب عالي) إذا اعطى كلمة فأنه لن يتراجع عنها، وهنا طابت نفس مهدي الفزعة وخرج بهدوء من حب الشيخ كبطل منتصر.

وعادت المياه إلى مجاريها بين الاثنين، ولكن كان يعكر صفوها بين الحين والآخر تصرفات هذا الشيخ الجبار، واستمر مهدي يقرأ ويكتب النسخ على (التنكة.(

كان من عادة الأطفال الدارسين عند الشيخ إذا حان وقت الغداء فأنهم يخرجون ما أعدته لهم امهاتهم من اكل (وهذا يختلف باختلاف المستوى الاقتصادي لتلك العوائل) وجناب عالي له ان يختار الطعام الافضل والافخر، يجمعه ويرسله الى بيته مع عدد من الاولاد يختارهم من الذين يتمتعون بالادب العالي وقبلها يجتمع اليهم ليحدثهم عن بيته (المسكون) بالجن والعفاريت ويعلمهم نشيداً خاصاً يبدأون به عند فتح الباب لهم من دون أن يرفعوا أنظارهم الى من يأخذ الطعام منهم، وكان الاولاد يطيعون كلامه ويطبقونه، خوفاً منه اولا ولسذاجتهم وتصديق كلامه ثانيا.

وفي احد الأيام وقع الاختيار على مهدي ليكون عضواً في مهمة إيصال الطعام الى بيت الشيخ وكالعادة انشد الجميع نشيدهم الخاص الذي علمهم اياه شيخهم وبعد فتح الباب لم يستطع مهدي الا ان ينظر الى من فتح الباب لهم ولم يكن بذلك يقصد شيئاً أو عاصياً للأوامر لكن حب الاستطلاع والميل الى خرق القاعدة دفعاه لذلك، فأذا به يرى فتاة غاية في الجمال، كفلقة القمر، وهنا فهم مهدي السر ..! وظل يختلس النظر كلما جاء لإيصال الطعام لبيت شيخه جناب عالي، وربما كانت الفتاة الحبيسة نفسها تحب أن تتلاقى نظراتهم !.. ومن يدري ؟!

حـــــــوادث وغـــرائـــب

رافقت دخول القوات البريطانية إلى العراق عام 1915

دخول القوات الانكليزية الى بغداد

يعد المؤرخ البريطاني المعروف ستيفن همسلي لونغرغ من بين القلائل الذين تخصصوا في الكتابة عن تاريخ العراق الحديث. فقد جاء لونغرغ مع الحملة البريطانية التي احتلت العراق خلال الحرب العالمية الأولى وشغل منصب الحاكم السياسي في عدة أماكن في العراق اثناء الاحتلال كما عمل مفتشا اداريا في الحكومة العراقية التي تشكلت بعد قيام الثورة العراقية الكبرى ولم يلبث ان انكب على دراسة تاريخ العراق الحديث فاستطاع بالجهد المتواصل الشهير (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) والذي يعد من المصادر الاساسية لتاريخ العراق في فترة الحكم العثماني ، ذلك الكتاب الذي ينبغي ان تخرج له ترجمة جديدة اكثر دقة واساس عبارة وسبكا من الترجمة الفجة التي اصدرها (جعفر خياط) والتي يعوزها المزيد من التعليقات والتوضيحات المهمة. ولقد اعقب المؤرخ لونغرغ كتابة ذاك بكتاب جديد اصدره في سنة ١٩٥٣ درس فيه اوضاع العراق خلال الفترة من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠ الذي يعد مكملا حقا لكتاب (اربعة قرون من تاريخ العراق) ولقد اوشكنا على الانتهاء من ترجمة هذا الكتاب القيم الذي تناول، ولو بصفة موجزة أوضاع العراق في اخطر مرحلة من مراحل تاريخه الحديث ونعني بها مرحلة انسلاخه من الإمبراطورية العثمانية وقيام حكم وطني فيه للمرة الاولى بعد قرون عديدة من الاستبداد والخضوع للقوى الأجنبية الغريبة عن العنصر العربي بصفة أساسية.

وهذا الفصل الذي اخترناه من الكتاب يوضح لنا الفوضى التي سادت العراق خلال سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ نتيجة احتلا القوات الانكليزية أجزاء واسعة من أراضيه الجنوبية والوسط بما في ذلك مدينة بغداد نفسها وبقاء القوات التركية ممسكة بالأجزاء الشمالية والشمالية الغربية الأمر الذي جعل العراق في تلك الفترة يخضع لحكمين متنافسين ومتصارعين صراعا مسلحا واسعا .

كان وقع المسرح العراقي وشعب العراق على الغزاة، غير ملائم بصفة عامة. فلقد تأثرت القوات من جميع الأصناف، بعزلة الصحراء التي تثير الاشمئزاز ، وبالفقر والقذارة الطاغيتين في القرى . ذلك ان المستويات الواطئة من الحياة، والصنوف المتدنية من البشر التي واجهتها تلك القوات فجعلتها تحكم عليها بانها كانت اناسا من الكسالى والشحاذين واللصوص المتذللين والدبوثين الذين كانوا يشاهدون في اطراف المعسكرات الانكليزية.

ولم تتأثر هذه الانطباعات بالعمال المغايرين بدنيا والتابعين لفيلق العمال العرب الذي تم تأليفه على وجه السرعة. ولا بحراس حوانيت الأسواق الطماعين، والابتزاز المجرد من الخجل والقاتل في الغالب، وتمزيق جثث القتلى في ميادين المعارك بأيدي أفراد العشائر الساكنين على ضفاف الأنهار.

لم يتيسر لأحد، عدا الضباط السياسيين، الالتقاء بالعناصر الطيبة والمواطنين المحترمين، ورؤساء العشائر او القرى الذين ظلوا يتمتعون بصفاتهم من الاحترام الشخصي والمرح والذكاء وان بقوا مع الأسف الشديد غير معروفين بالأغلبية الساحقة من أفراد القوات. فاذا لم يكن الجندي الهندي ورفيقه المسلم معروفا بصفة خاصة لدى سكان الجنوب من العراق ، فالضابط والجندي البريطانيان يكونان غريبين كلية بالنسبة لاختلاف طرائقهما وأمزجتهما ووقعهما ومستوياتهما عن الجنود الأتراك.

وعندما تتجمع الواجبات والمصالح المشتركة في الأداة النهرية مع الفرقاء المتعبين أو في اجتماعات المقاهي بأشكال جيدة من العنصرين سوية سرعان ما يسهل قيام علاقات ودية ولكن مثل هذه الحالات كانت جد نادرة. فقد ثبت عدم الإدراك والردع الذاتي المشتركين بين الجيش والسكان دوامهما بصفة مؤسفة حتى له تصرف افراد القوات المسلحة تصرفا حسنا ودفعت مبالغ وفيرة لكل السلع والخدمات. ولم تكن الرقابة صارمة من ذلك إسكان الجنود في المدن واتخاذ اجراءات الحصار لحماية التموينات من غارات العدو وفرض الإجراءات الصحية والحجر الصحي الشديد والسيطرة على الحركة والسفر وإنشاء الطرق عبر القنوات والتلف الذي تلحقه الإجراءات العسكرية بالحاصلات وبالبساتين كل ذلك كان من الأمور المحزنة المتواصلة.

وفضلا عن ذلك فان الاتصالات الأولى بالإدارة المدنية الوليدة "١" التي كان يديرها السر برسي كوكس ومساعده المخلص الذي لايكل السيد ارنولد ولسون قد طغى عليها انعدام اي تاكيد بان الاحتلال سيكون دائما . فما تاثر البريطانيون بالحذر وبالشكوك الصادرة عن الفرنسيين حتى كان صمتهم عن هذا الامر يعتبر مقدمة فعالة لتعاون نابع عن قلوب العراقيين . فقد يعود الاتراك الان . لكن كثيرين بل ان معظم البارزين من سكان المدن والعشار بدأ عليهم بانهم كانوا راغبين في اظهار افضل تعاون يمكن توجيهه ويكون مفيدا الى درجة قصوى "٢".

لم تكن الحماسة الخالصة والمجربة لدى الضباط السياسيين القادمين والتي تعتبر من اغرب المفارقات إزاء أسلافهم الأتراك قد أحدثت أدنى ضرر بالمجتمعات التي لم تتعود الطمأنينة التي حصلت مؤخرا أو التطلع إلى أعمال السلب ثانية او الأعمال التي كانت تثيرها الدعاية التركية. فلقد كانت هناك أرتال تقوم بأعمال تأديبية كثيرة وغير ناجحة في بعض الأحيان وذلك لاقتناص المعتدين والمذنبين. وفي الوقت ذاته كانت الدوائر السياسية المقيدة سيئة التجهيز تغص بالكتبة من الهنود وتطفح بأصحاب الالتماسات وتشهد منذ الصباح حتى الليل قضايا التصرف بالأراضي والإيرادات والامور العشائرية والمحاكمات الإجرامية والقضايا البلدية ومهام الشرطة والمحاولات

الجارية لمواجهة الطلبات العسكرية المتزايدة للحصول على المعلومات وبطاقات التجول والعمل والتجهيزات.

أدى احتلال مدينة العمارة إلى إدخال البو محمد وبني لام داخل نطاق الإدارة المدنية الجديدة التي كانت مطبقة في الناصرية. اخذت العلاقات تتوطد بالتدريج . كان كثير من زعماء العشائر يخجلون من الاتصال بحكومة مسيحية مستحدثة . وقد استنكر البعض منهم مثل ذلك الاتصال، ورفض الاذعان لتلك الحكومة . في المتفق كان زيادة السيطرة بطئية وشاقة . لذلك تم ترتيب نوع من العيش بسلام بين رؤساء آل السعدون وفلاحيهم الاعتياديين ، فبرزت عن ذلك اداة بسيطة للادارة، وشرع بجمع الايرادات واصبح مستطاعا اقامة حكومات ادارية في الارياف يديرها مدراء من افراد العشائر انفسهم وحوصرت العداوات المريقة للدماء ، وجندت قوة من شرطة الهجانة كانت مقدمة لقوات المرتزقة في العراق "٣" .

ولم يقع في البصرة او القرنة مايعكر الطمأنينة فيهما . اما في الصحراء فقد اصبحت قبيلة (الظفير) مسؤولة عن مسيرات الحدود ، وقد تم استدعاء (ابن الرشد) من قبل السر برسي كوكس لكي يطبق الصلح لكنه فضل أن يظل يدور في الفلك التركي.

وشرع في منطقة العمارة بتطبيق نظام المقاطعات الزراعية ، وذلك لعدم وجود اية تغييرات يمكن اتخاذها هناك ، وتم فرض الضرائب بنوع من الفطنة.

وبعد احتلال مدينة الكوت شرع باجتذاب الشيوخ الذين كانوا موالين للاتراك ، الواحد منهم تلو الاخر وذلك بعد ان حصلت تغييرات حاسمة في المواقف وبقي (والي بشتكوه) يحتفظ بالحياد الخاضع للمراقبة في حين كانت قبيلتا (زبيد) و (ربيعة) في حالة انتظار للأحداث.

بقيت العلاقات مع الشيخ خزعل قوية وودية، وقد ساعدته له سلطته القبيلة التي تعرضت لهزات عنيفة في أوائل سنة ١٩١٥ . اما (مبارك) شيخ الكويت الذي ظل مخلصا للانكليز حتى النهاية فقد توفي في شهر تشرين الثاني ١٩١٥ . وقع تنازل ولده (جابر) الذي خلفه لمجة سنة واحدة ، عن الرئاسة الى اخيه (سالم) الذي تطلب موقفه الموالي للاتراك ، وجود قوات بريطانية في الكويت .

وبالنسبة الى عبد العزيز بن سعود فقد تم ارسال بعثة حسن النوايا كان يمثلها النقيب شكسبير من الادارة السياسية الهندية ، وذلك عن اندلاع نيران الحرب . ولكن آل سعود والرشيد في شهر كانو الثاني ١٩١٥ . ولذلك انشغل ابن سعود بالتمرد الذي حدث بين افراد القبائل الخاضعة له . وفي شهر كانون الاول سنة ١٩١٥ تم التوقيع على معاهدة اعتراف وصداقة متبادلين بين ابن سعود والحكومة البريطانية . وكان السر برسي كوكس هو الذي نظم تلك المعاهدة. وفي شهر تشرين الثاني ١٩١٦ ، وبعد استعراض حكومي في البصرة قرر البريطانيون منح ابن السعود كمية من الأسلحة، وهبة مالية تبلغ ستين الف باون كل سنة .

وذا قرر ابن السعود تأجيل التسوية مع ابن الرشيد فقد كان ينظر بعين الشك الى الثورة والادعاءات التي اظهرها امير مكة الطموح ذو الفكر الثاقب ، الحسين بن علي. غير ان ابن السعود نفسه ، ولأسباب نابعة من السياسات العربية ، لم يشارك في الحرب.

ادى تراجع الأتراك إلى انتقال كبار الموظفين من جنوبي العراق الامر الذي جعل الذين يمارسون اعمال النهب ، والممتنعين عن دفع الضرائب ، يقدمون على إتلاف السجلات الحكومية. ولذلك كان عللا الادارة الجديدة أن تبدأ من لا شيء . وكان استبدال اللغة التركية الني كانت سائدة ، بما في ذلك قضايا تخمين الإيرادات ، لأنه كان يتعذر وجود ما هو أفضل منها.

كان يجري استيفاء الرسوم الكمركية بنسبة عشرة في المائة عن جميع مدخولات السلع المدنية . وقد بقي الفصل في قضايا الإجرام في يد الحاكم العسكري والضباط السياسيين ومساعديهم .

من بين الشروط التي ألغاها قرار تركي نشر في كل إنحاء الإمبراطورية التركية اثر اندلاع نيران الحرب، قرار يقضي في ذلك الوقت بعدم الحاجة أو السؤال. أما بالنسبة إلى قضايا التي تقع بين رجال العشائر، فقد تم تطوير قانون خاص هو نظام المنازعات العشائرية الذي ظل ساري المفعول لسنوات عديدة. وكانت القضايا المدنية تجري معالجتها على يد محاكم أنشئت حديثا في مراكز متتابعة ويتم تنفيذها باللغة العربية. كذلك تم إنشاء تشكيلات للشرطة، وللشرطة المحلية تحت إشراف الضباط البريطانيين في كل من العمارة والناصرية. اما قوات (الجندرمة) التي عرفت باسم (الشبانة) فقد ظلت تطبق الأوامر تحت إشراف الضباط السياسيين، وتمارس مختلف الخدمات في المدن الصغرى والأرياف الواقعة على ضفاف الانهار.

كانت قوات الشبانة في منطقة العمارة ذاتها قد تألفت من الشيوخ البارزين أنفسهم. أما في القرنة والاهوار فلم يكن أفراد الشبانة هؤلاء من أبناء العشائر. وفي الناصرية وسوق الشيوخ أضيفت إلى قوات الشرطة فيهما تشكيلات من الخيالة العشائريين تحت إمرة القيادة العسكرية.

ومثل هذا الاهتمام تم بذله حسب المستطاع، وفي وقت مبكر ايضا، نحو المتطلبات الصحية حيث تمثل في صفة مستوصفات ومستشفيات تقوم بخدمة السكان المحليين، وكذلك الإصرار على التمسك بالأمور الصحية، والسيطرة على التزود بمياه الشرب في المدن، واتخاذ الإجراءات المضادة لمرض الملاريا والإمراض الوافدة الأخرى.

وتم في البصرة إنشاء مصلحة متوسطة للأنباء حيث تم إصدار صحيفة باللغتين العربية والانكليزية "٤".

وأقدم المصرفان الشرقي والعثماني الإمبراطوري على فتح فروع لهما في مدينة البصرة، وسرعان ما أعقبهما في ذلك المصرف الفارسي الامبراطوري "٥" وبدأت في سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ مدارس ابتدائية قليلة تمارس أعمالها. وقدمت الهبات الى مدرسة التبشير الاميركية في البصرة "٦" وكذلك الى المدارس التي تديرها الأقليات المسيحية واليهودية هناك.

غير ان الاحتلال البريطاني لم يكن في هذه المرحلة ليشمل سوى أجزاء صغيرة من العراق. أما بقية الأجزاء فقد بقيت تحت إشراف الحكومة التركية التي تعاظمت عسكريا وفظاظة ووهما. فقد غادر بعض المقيمين الاجانب في بغداد قبل اعلان الحرب الى كل من البصرة والمحمرة وبقيت الطائفة البريطانية مصونة غالبا عندما انفجرت الحرب ، ولم يلبث الرجال من افرادها ان غادروا الى سوريا، حيث استطاع جمال باشا والي بغداد السابق، والمعروف بصفة شخصية لدى معظم البريطانيين بتدخله ان يضمن إطلاق سراحهم من دون أدنى قيد أو شرط، في حين عاد الى العراق، وكان من بين هؤلاء المقدم سون وارثر تود اللذان عادا الى البصرة عن طريق مصر "٧" اما النساء البريطانيات فقد مكثن في بغداد حتى شهر آذار ١٩١٧ حين تم ارسالهن الى اسطنبول ليبقين فيها بقية أيام الحرب

ولقد تعرضت المصالح الأجنبية، وكذلك مصالح معظم العراقيين المحتازين لخسائر فادحة، نتيجة القيود المفروضة واعمال المصادرة الشديدة، والاغتصاب الذي يندر أن يدفع اي تعويض عنه. وازداد سوء معاملة الأتراك للسكان تبعا لتعاظم الحركة القومية العربية، فاشتد الأتراك في سخطهم نتيجة عدم مبالاة العرب د، اما سوء موقفهم ازاء الجهد الحربي الذي كان حكامهم يبذلونه. فقد تم حل (اللجنة الحرة) "٨" في سنة ١٩١٦ و أوقفت اعمال البعثات التبشيرية الاجنبية ، الكرملية منها اليهودية والبروستنتية في بغداد والدومنيكية في الموصل وفرض الحظر على نشاطها . وتم فرض التجنيد بشدة على الطبقات التي كانت معفاة منه قبلا ، واوجدت التعبئة العامة ، المزيد من المصاعب الكثيرة .

وتم تعزيز الاعلان البكر للحرب المقدسة ضد الكفار من لدن جميع الوعاظ في اي مسجد يعود الى طائفة السنة ام طائفة الشيعة ، يستطيع الاتراك التاثير فيه . وثم خلق احساس شعبي او ديني الا انه كان ضعيفا ولفترة قصيرة في مدينة البصرة خلال سنة ١٩١٥ . ولكن هذا الامر برهن على انه ممكن في ظل هذا التنكر ، وذلك بنعبئة بضعة الاف من افراد العشائر المتعطشين الى اعمال السلب ، من اواسط العراق ، ويضع مئات من جنوبي كردستان وانضمامها الى القوات التركية التي كانت تقاوم في الشعيبة وفي عربستان "٩" .

ولقد كانت القوة الحربية لهؤلاء غير ذات بال ، وكان نتاجها عبارة عن حدة إضافية بين الأتراك والعرب، وفشل مشروع الجهاد بصفة نهائية. ذلك ان رجال العشائر عادوا الى اهليهم مطمئنين بعد ان تاكدوا ان هربهم لن يعرضهم للاذى على ايدي البريطانيين المحتلين بصفة مؤقتة . ذلك ان كثيرا من شيوخ العشائر قد بدلوا ولاءهم عدة مرات – اذا كان حسدهم ، وتصرفاتهم العقيمة في التشبث تستحق ان تذكر – وهكذا استمر الاتراك يغدقون المنافع على عجمي السعدون وابن الرشيد ، ويحرضون الرجال في اواسط الفرات على مقاومة الغزاة الكفار . ولقد جوبهت هذه الجهود بالخلافات العميقة القائمة من ناحية ، وبالدعاية البريطانية من ناحية اخرى . وكذلك بالاتصالات العشائرية السابقة التي لم تنتج عنها اية نتائج حربية .

وفي الوقت ذاته تطورت في المدن المقدسة حالة خطيرة جدا بالنسبة الى الاتراك . ذلك لان حقد الاتراك على رجال الدين في النجف وكربلاء لم تخف حدته بعد . فقد وجد الهاربون من صفوف القوات التركية ملجا لها في مدينة النجف ، وجرت محاولة لانقاذهم مما اضاف المزيد من اعمال الاغتصاب والشغب الحادة ، والانتقام التي احدثت العطب بالابنية المقدسة .

ولم تلبث الحشود الحانقة ان تغلبت على القوات التركية ، ونهبت دوائر الحكومة ، واقامت حكومة مؤلفة من بعض المواطنين البارزين . واخذت حركة الثورة ضد الاتراك تنتشر الى كربلاء وغيرها ، نتيجة الدعم الواسع الذي حظيت به من لدن افراد العشائر . وطردت الحامية التركية والموظفين الاتراك ، واحرقت منازلهم ودمرت ممتلكاتهم . ولكن هذه الحرمة لم تتطور الى عمل موحد وسرعان ما خمدت واستطاع الاتراك ، بعد فترة من المصالحة والتهدئة ان يستعيدوا سلطتهم الاسمية .

وتطورت المراسلات في شهر ايلول سنة ١٩١٥ بين الناطقين باسم المدن المقدسة والسر برسي كوكس ، حيث عرض اولئك الناطقون بعبارات تصويرية رفيعة، نقض ولائهم للاتراك في حين قدم لهم السر برسي كوكس هبات من الاموال لقاء ذلك .

بعد ستة اشهر اخرى انفجرت الاضطرابات مجددا في كربلاء ، فقد ادت محاولة اعتقال بعض الاشخاص الى اعمال عنف ثم طرد الاتراك من المدينة خلالها مجددا . واعقب ذلك حدوث الأعمال نفسها في كل من النجف والحلة . ولقد كانت الحلة مسرحا لمأساة ظل الناس يتذكرونها مدة طويلة . ذلك ان القوات التركية التي ظهرت خارج المدينة في شهر تشرين الثاني ١٩١٥ قد أقدمت على اعتقال عدد من الرجال المعروفين في المدينة فشنقت بعضا منهم ، ثم ضربت قسما من المدينة ونهبته.

اما في شمالي العراق فان الحياة الاقتصادية وتجارة المرور إلى فارس قد تعرضت الى كارثة نتيجة تعطيل خط البصرة التمويني ، الامر الذي ادى الى تراكم الحبوب والتمور المعدة للتصدير في الوقت الذي تعاظم فيه نقص المنسوجات والأدوات والحاجيات الضرورية المستوردة وبذاك شلت الحركة التجارية وصاحب حركة اصدار العملة الورقية التي فقدت ، احتكار وحشي للذهب وللمواد التي لها قيمتها ، وبذلك غدت الحياة بزيادة الضغط على الاقليات ، وبظهور اللاجئين الأرمن بالمئات نتيجة المذابح التي وقعت بينهم وبين الأتراك في الأناضول خلال سنتي ١٩١٥ – ١٩١٦ .

ولقد وجد بعض هؤلاء اللاجئين مستقرا لهم في المدن ، في حين تفرق البعض الاخر بين افراد العشائر . واضطر الحكام الضعفاء المعتصرون الى تجاهل الاوامر الصادرة اليهم بالقضاء على تمرد العشائر ومع ذلك كانت توجد بعض الضربات الموجهة من قبل الحكومة التركية . فلقد تم القاء القبض على الشيخ عبد السلام البرزاني "١٠" وتم شنقه واعقبه في ذلك الشيخ احمد نصف الابله . في حين راح سيد طه النسيري ينشد الهرب .

اما منطقة راوندوز التي غزتها القوات الروسية ، التي انفصلت عن العمليات الجارية في المناطق الفارسية ، فقد دمرت تدميرا كاملا بسبب ما ارتكبته تلك القوات الروسية من أعمال بربرية.

مجلة افاق عربية

اذار 1981

ملفات من التاريخ

لقاء صحفي أجري مع الأمير فيصل بن الحسين عقب علمه بوجود اتفاقية سايكس بيكو 1920

السبت، ١٧ تموز/يوليو ٢٠١٠ ٠٩:٣٧
عُقد المؤتمر السوري الأول (وهو أول برلمان سوري منتخب في التاريخ) في ربيع عام ١٩٢٠ اجتماعه بعدما انسحبت القوات البريطانية التي واجهت القوات العثمانية و أخرجتها من الأراضي السورية.
و تقرر إعلان استقلال سوريا بحدودها الطبيعية، وإعلان الأمير الهاشمي فيصل بن الشريف حسين ملكا عليها.

وعلى الرغم من الشكوك الكبيرة التي أحاطت بعمل فيصل واتصالاته الدبلوماسية وتوقيعاته السرية مع الفرنسيين و الانكليز ، فإن رجال العمل العربي رأوا فيه وعداً فاتناً بالاستقلال العربي.

توجه الأمير فيصل مع حاشيته إلى مقر المؤتمر السوري، وأعلن في الساعة الثالثة بعد الظهر في الثامن من آذار عام ١٩٢٠، استقلال سوريا بحدودها الطبيعية وإعلانها مملكة، وتنصيب الأمير فيصل بن الحسين ملكاً عليها، ورُفع العلم السوري بعد أن تقرر أن يكون العلم العربي في الحجاز علماً للبلاد بعد إضافة نجمة بيضاء عليه .
أما البريطانيون والفرنسيون فقد رفضوا الاعتراف بالمؤتمر السوري وبقراراته، وبتنصيب فيصل ملكا على سوريا وبقيت مراسلاتهم للملك تعنون باسم الأمير فيصل وليس الملك فيصل.
في أيار عام ١٩٢٠ وصلت لسوريا أنباء مقررات مؤتمر سان ريمو، و انكشفت اتفاقية سايكس بيكو المبرمة سريا قبل سنوات وتوضح اتفاق البريطانيون مع الفرنسيين على وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وفلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني.و بدأ الاحتلال الفرنسي و الانكليزي للبلاد .
قبل هذه الأحداث المصيرية نشرت جريدة "العاصمة" الدمشقية في ٢٦ شباط ١٩٢٠ لقاء مع الأمير فيصل الذي نصب بعدها ملكا على سورية سأله فيه الصحفي عن الشكوك التي انتابت السوريون بعد وصول إشاعات عن وجود اتفاقية سرية حملت اسم سايكس بيكو يقتسم بها البريطانيون و الفرنسيون الأراضي السورية .
و كان رد الأمير تأكيده على وجود اتفاقية واضحة بين والده الملك حسين و وزير الخارجية البريطانية مكماهون ليتبين للسوريين فيما بعد عدم جدية هذه الأقوال و يصدموا بتغرير البريطانيين و الفرنسيين بالملك فيصل ووالده و بدء احتلالهم و اقتسامهم لأراضي سوريا و العراق و فلسطين .

نص المقابلة الصحفية :

سؤال- كنا قرأنا في جريدة الشرق التي كانت تصدر في دمشق إبان الحرب نص معاهدة تسمى ((معاهدة سايكس بيكو)) نشرها جمال باشا زاعماً أن البلشفيك ظفروا بها بين الأوراق الرسمية في بتروغراد عندما استولوا عليها ثم انقطعت أخبار هذه المعاهدة حتى عادت صحف أوربا منذ بضعة أشهر تردد صداها، و قيل أن جلاء الجنود الانكليزية عن سورية منذ مدة كان تنفيذاً لنص تلك المعاهدة .
فهل ذلك حقيقي، وهل سمعتم سموكم بها في الأماكن الرسمية أو اطلعتم عليها في أثناء الحرب أو بعدها ؟
جواب- حينما نشر جمال باشا تلك المعاهدة أثناء الحرب اطلع عليها والدي في العدد ١٠١ من جريدة المستقبل فسأل جلالته الحكومة البريطانية بواسطة معتمده بمصر عن تلك المعاهدة فأجابته الحكومة الإنكليزية بكتاب هذا نصه :
(إن البلشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية بتروغراد معاهدة معقودة، بل محاورات و محادثات مؤقتة بين انكلترا و فرنسا وروسيا في أوائل الحرب لمنع المصاعب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك، وذلك قبل النهضة العربية
وأن جمال باشا – إما من الجهل أو الخبث – غير في مقصدها الأساسي وأهمل شروطها القاضية بضرورة رضى الأهالي و حماية مصالحهم وقد تجاهل ما وقع بعد ذلك على أن قيام الحركة و نجاحها الباهر وانسحاب روسيا قد أوجد حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية منذ أم مضى).

قال سمو الأمير:
فيظهر لكم من هذا الجواب أن تلك المعاهدة لم يكن معترفاً بها اعترافاً رسمياً لدى والدي و العرب و إذا فرض وجودها فإنهم قد أنكروها بتاتاً بحيث أصبحت كأنها لم تكن و تصريحات الحكومات بإلغاء جميع المعاهدات السرية تجعلنا لا نعترف بتلك المعاهدة .
فأجاب سمو الأمير: أن المعاهدات التي يذكرها صاحب الجلالة ما رأيتها.
و قد طلبت منه مراراً أن يجعلها سلاحاً لي إذا كانت موجودة، لا علم ما سبب تأخيره إرسالها لي و اكتفاء جلالته بإرسال صورة اتفاقية يقول أنها نسخة من تلك المعاهدة، وها أنا أعطيك تلك الصورة و يمكنك نشرها .

وهذا نصها بحروفها :
صورة ما تقرر مع بريطانيا العظمى بشأن النهضة
١-تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها و خارجيتها و تكون حدودها شرقاً من بحر فارس و من الغرب بحر القلزم و الحدود المصرية و البحر الأبيض و شمالاً ولاية حلب و الموصل الشمالية إلى نهر الفرات و مجتمعه مع دجلة إلى مصبها في بحر فارس ، ما عدا مستعمرة (عدن) فإنها خارجة عن هذه الحدود .

وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات و المقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود و بأنها تحل محلها في رعاية و صيانة تلك الحقوق و تلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الأفراد .
٢-تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة و صيانتها من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها و سلامة حدودها البرية و البحرية من أي تعد بأي شكل يكون، حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الأعداء أو من حسد بعض الأمراء فيه تساعد الحكومة المذكورة (مادة و معنى) من دفع ذلك القيام .
وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية .

٣-تكون (البصرة) تحت أشغال العظمة البريطانية لحين يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية. و يعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي في حكمها قاصرة في حضن بريطانيا، و تلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الأشغال.
٤-تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة و مهماتها و الذخائر و النقود مدة الحرب .
٥- تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من (مرسين)أو ما هو مناسب من النقاط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها.

قال سمو الأمير:
ولكني مع الأسف حينما كنت في لوندرة (يقصد لندن) قدمت هذه الصورة إلى رئاسة الوزراء فأنكرت وجودها كل الإنكار وقالت بأنه لا يوجد عهد – ولا كتاب كعهد- بمثل هذا التصريح و لكن لدينا رسائل أهمها رسالة من السير هنري مكماهون و هذا نصها بحروفها:

كتاب السير هنري مكماهون
إلى جلالة المليك المعظم بمكة في ٢٤ تشرين الأول سنة ١٩١٥ :
(لما كانت مقاطعات مرسين و الاسكندرونة و بعض أجزاء سورية الواقعة إلى الغرب من مقاطعات دمشق و حمص و حماه لا يمكن تسميتها عربية محضة فإنه يقتضي إخراجها من الحدود التي بينتموها وأنه بمقتضى هذا التعديل ومن غير إخلال بمعاهداتنا السابقة مع بعض زعماء العرب نقبل الحدود على ما ذكرتموه).
ثم بخصوص الأراضي التي لبريطانيا العظمى حرية العمل فيها من غير إضرار بمصالح حليفتها (فرنسا) فإن لي السلطة باسم بريطانيا العظمى أن أعطي التأكيدات الآتية وأجيب على كتابكم بما يلي:
إن بريطانيا العظمى مستعدة – بعد التعديلات المذكورة آنفاً – أن تعترف باستقلال العرب و الأخذ بناصرهم و ذلك ضمن الحدود التي قدمها شريف مكة .
أما ولاية بغداد وولاية البصرة فعلى العرب أن يسلموا أن مركز بريطانيا العظمى و مصالحها تقتضي اتخاذ تدابير خاصة لإدارتها و حمايتها من كل اعتداء أجنبي، ولارتقاء أهاليهما، و المحافظة على مصالحنا المشتركة فيهما.
قال سمو الأمير :
عندئذ كررت طلب تلك المعاهدة من مكة المكرمة، ولكنها و يا للأسف لم ترد عليّ حتى الآن. فلهذا لا يمكنني أن أقول بأن وزارة الخارجية البريطانية مخالفة للحقيقة بأقوالها، ولا أقول أن حكومة مكة تقول غير الواقع.
فإذا كان لدى حكومة مكة المكرمة عهد كهذا فتأخير إبرازه في هذا الوقت الذي وضعت به مسألة العرب على بساط البحث و قد أوشك المؤتمر أن يبت بشأنها مضر جداً، لأن هذه المعاهدة لم تعقد إلا لتبرز في مثل هذا اليوم العصيب و يعمل بموجبها و قد ألحت في المدة الأخيرة على جلالة والدي بإرسالها ، وأظنها ستصلني عما قريب .
فإذا وصلت سيكون في النوادي السياسية غير موقفي الحاضر .
سؤال – هل دفاعكم في مؤتمر السلم سيكون خاصاً بشؤون سورية أم يتناول المسألة العربية كلها؟
جواب- إن صفتي في مؤتمر السلام هي تمثيل والدي و حكومته الذي قام مدافعاً عن حقوق العرب بأجمعها ، فإذا تخليت عن جانب من بلاد العرب المحررة من الأتراك أكون قد قصرت بواجبي السياسي و أخللت بما أودع إليّ من الوظائف .
إذا يتحتم عليّ أن أضع المسألة العربية برمتها موضع البحث وأدفع عنها باسم جلالة الملك .
سؤال- في كتاب السر مكماهون الذي تقدم الكلام عنه ما يتعلق بفلسطين و بغداد و البصرة فما رأى سموكم فيما ينطوي عليه و هل صرحت لكم الحكومة البريطانية بشيء بعده ؟
جواب – إذا وجد ذلك العهد الذي أعلن جلالة والدي وجوده فأظن الحكومة البريطانية ستكون مضطرة إلى تشكيل الوحدة العربية و الاعتراف و هي ملزمة بعهدها الوارد في كتاب السر مكماهون أن تؤلف حكومة في العراق تكفل مصالح العرب و البريطانيين معاً وأن تعترف بأن فلسطين و الموصل عربيتان داخليتان في ضمن الحكومة السورية والصداقة التي بيننا و بين الحكومة البريطانية تجعلني أواصل البحث فيما هو واجب على انكلترا إجراؤه في الممالك و البلدان التي هي الآن تحت أشغالها العسكرية وأملي عظيم بأنها ستقوم بعهودها .
سؤال- هل تفكرون برفض ما تدعيه الحكومتان الفرنسية والانكليزية من الحقوق في أقسام البلاد العربية ، سواء كان في سورية أو العراق أو غيرهما ، وما هي خطة سموكم في هذا الأمر ؟
جواب – إنني لا أتصور أن أقابل جميل هاتين بمعاملة غير لائقة و أنا أعلم بأن لهما منافع أدبية و اقتصادية يجب احترامها و لكني في الوقت نفسه أؤمل أن تنظر إلينا هاتان الحكومتان بنظر الاحترام، و إلى حقوقنا بنظر الإنصاف و العدل و أن لا تطالبانا بما يخل باستقلالنا و رقينا المادي و المعنوي و أن لا تجبرانا على إتباع تقاليدهما على العمياء بل نأخذ منها ما طاب من مدنيتهما الحديثة و نترك ما هو مخالف لمدنيتنا .
وعلى كل فأنني أؤمل من رجال الحلفاء و الأمم المتمدنة أن تنظر إلينا بعين الحب ولا تهضم لنا حقاً كيما نتمكن من خدمة المدنية الحاضرة كما خدم أجدادنا المدنية الغابرة.

جريدة العاصمة الدمشقية
26 شباط 1920

إن بريطانيا العظمى مستعدة – بعد التعديلات المذكورة آنفاً – أن تعترف باستقلال العرب و الأخذ بناصرهم و ذلك ضمن الحدود التي قدمها شريف مكة .أما ولاية بغداد وولاية البصرة فعلى العرب أن يسلموا أن مركز بريطانيا العظمى و مصالحها تقتضي اتخاذ تدابير خاصة لإدارتها و حمايتها من كل اعتداء أجنبي، ولارتقاء أهاليهما، و المحافظة على مصالحنا المشتركة فيهما.

ماهي حكاية (زعل) نوري باشا السعيد على الصحفيين

حسين علي محمد الشرع

في شهر سباط سنة ١٩٥٧ كنا اربعة صحفيين نعمل في اربعة صحف وهي جريدة الاراء لصاحبها امين احمد وهو صحفي وطني تقدمي سجن واعتقل ونفي خارج العراق وجريدة النهار لصاحبها عبد الله حسن وجريدة الاسواق التجارية لصاحبها جمال داود وجريدة العزة لصاحبها جليل قسطو واما الصحفيين فهم شاكر الجاكري محمود الجندي يوسف عويد وكاتب هذه السطور وكنا نجمع الاخبار والاعلانات ومبالغها ونأتي كل يوم بعد الواحدة الى مقر هذه الصحف الكائن في شارع حسان بن ثابت قرب مقهى الزهاوي حالياً وهذا الشارع طريق مهم للمسؤولين حيث يبدأ من شارع الرشيد وينتهي في محلة القشلة التي تضم مجلس الوزراء واغلب الوزارات والدوائر المهمة وتسمى (السراي).
نتناول طعام الغداء في مطعم العاصمة لصاحبها الطاهي المشهور محمد اديب تايه وهذا الرجل له قصة اخرى وهي دعونه الى المانيا الغربية ليلقي محاضرات عملية ونظرية حول فن الطبخ ونوعيته على كبار الطهاة والمتعهدين في ذلك البلد واستحسنه الالمان وبقي شهرين ونرجع من المطعم لتناول الشاي بباب بناية تلك الصحف ويمر المسؤولون ويسلمون علينا بما فيهم نوري باشا السعيد بعد انتهاء الدوام ونرد عليهم السلام وندعوهم لشرب الشاي فمنهم من يعتذر ومنهم من يتقبل.
في احد الايام رجعنا الى صحفنا فوجدنا الاساتذة اصحاب الصحف وقد قابلونا بغير عادتهم وبوجوه مجهمة والخوف بادي عليهم فقلت للاستاذ امين احمد ما الخبر يا ابو اكرم فقال لي (انتم مشمولون اليوم) فقلت له انا بالنسبة لي ذهبت الى الدوائر وجلبت الاخبار وقال جمال داود وجماعتك فردوا بالمثل وقال عبد الرحمن ابو زهير انتم مطالبون من قبل اللواء بهجت العطية مدير الشرطة والامن العام ويريدكم حالاً فاخذ احدنا ينظر للاخر ما هو السبب، فاقترح ابو اكرم ان يذهب واحد منا فاذا رجع فالمسألة بسيطة واذا لم يرجع يختفي الاخرون عن الانظار فوقع الاختيار عليّ لانني شاب غير متزوج وليس عندي ميول حزبية فقبلت فقال لي ابو اكرم اذا التقيت مع بهجت فلا تشرب الحامض او الدارسين فيكيدون لك به كيدا فذهبت الي مديرية الشرطة العامة وانا خائف لا اعرف من امري شيئا فدخلت على المفوض مفتي جار الله سكرتير المدير العام وسلمت عليه وهو يعرفني ويعرف والدي حق المعرفة وكذلك بججت العطية فرد السلام وقال لي (وين جماعتك) فقلت له ما الخبر؟ فقال (ذبوها براسك الجبناء) ادخل سعادة المدير رايدكم فدخلت على اللواء بهجت العطية وهو جالس على كرسي متحرك وميز ضخم امامه وعليه اوراق و(فايلات) ورشاشة (سترلنك) ومسدس فضي وخلفه سيف من الفضة مرصع بالمينة وخارطة العراق وشعار المملكة مصنوع من الخزف والجص والخشب وملون باللوان زتهية فسلمت عليه ورفع راسه ولما راني قال اهلا وسهلا اجلس فجلست فقال لي انت شاب ووالدك سيد معروف ومن عائلة معروفة واجتماعية، رجل سلم عليكم اعتبروه اكبر منكم واحتراماً لسنه؟ لماذا لا تردوا عليه السلام وقد اتصل بي قبل ساعتين ولكن العتب موعليك العتب على (البعورة) الواقفين معك خلي ايصير عدهم اساس. فتعجبت وقلت له من هو الرجل الكبير؟ فقال الباشا يومياً يمر عليكم وانتم (تتمضحكون) ويسلم عليكم وما تردون عليه السلام ليش؟ فقلت له وانا صادق بقولي نحن نقف وننتظر الباشا وكلما مر علينا بسيارته دعوناه لشرب الشاي ونكن له الود والاحترام فهو كالاب والعم والخال ونعتز به والله اعلم فقال اشكرك واتصل بالباشا نوري السعيد هاتفياً فاخبره وسمعت الباشا يقول له سلم لي عليهم وهم ولدنا ومن المثقفين وعندما اغلق الهاتف ضحك وقال هذه المرة (خاطر والدك) ولكن السبب هو من اصدقاءك (شاردي الذهن والتفكير) فخرجت من مكتبه مسرعاً ووجدت الاساتذة اصحاب الصحف وزملائي المحررين واقفين بالشارع ولما اخبرتهم بالخبر فرحوا لعودتي واذا بسيارة الباشا مقبلة فوقفنا كلنا بالشارع فاوقف السائق السيارة بامر من الباشا وترجل منها واول من صافح امين احمد وساله كيف حالك ابو اكرم ثم صافحنا واحد واحد واعتذرنا منه ودعوناه للغداء فاعتذر الى وقت اخر وغادر.

حكايات برلمانية عراقية

يصف خير الدين العمري الانتخابات النيابية في ثلاثينات وأربعينات القرن الماضي وصفاً دقيقا ، ينبعث من واقع الحال . حاله هو بصفته موظفاً في تشريفاتية قصور المغفور له فيصل الأول ، وحال وضع النيابة بصفته نائباً في المجلس النيابي العراقي ، ثم رئيساً لبلدية الموصل ردحاً من الزمن . جاء كل ذلك في كتابه – مذكرات خير الدين العمري – مقدمات ونتائج – الجزء الأول ص ص ٢٢٧-٢١٢ ،

يقول فيها :

سارت الحكومات منذ تأسيس الدولة العراقية سنة ١٩٢١ وإلى سنة ١٩٣٠ في سياقات تنفيذ الانتخابات النيابية على طريق الترشيح الفردي دون اللجوء إلى اتباع نظام القائمة . وكان من المتعارف عليه في هذا العقد من الزمان فوز مرشحي الحكومة على الاطلاق ، كون الأكثرية الساحقة كانت طوع أمر الموظفين الإداريين ولم يأت ذلك بالإكراه أو بالشدة ... بل بحكم طبيعة الانقياد ...!!

وأما سكان المدن ، المتوغلون في معرفة أمور الانتخابات وطرقها فيشكلون أقلية ضئيلة، بسبب أن من يتحدى الحكومة (ومرشحيها) في الانتخابات لابد وأن يحصد الخذلان والفشل ...!!

ويضيف خير الدين العمري قائلاً :

حتى أنني لما دخلتُ انتخابات سنة ١٩٣٠ حاملاً شعار رفض المعاهدة ، ومعارضاً الحكومة ، كنتُ قد أحرزتُ المرتبة الأولى في انتخابات قضاء الموصل ، فضلاً عن أصوات لا بأس بها من بعض الأقضية ، لكني لم أغدو نائباً (في النتيجة) لأن هناك (ثمانية أقضية) غير قضاء الموصل ، يحصل فيها من يضع الأوراق (الانتخابية) في صناديق الاقتراع حسبما تريده الحكومة ويتطلبه الحال والواقع ...

وقد قال لي مرة (نوري السعيد) سنة ١٩٣٠ وكان يومها رئيساً للوزارة ،أنهم بصدد إجراء تعديلات في قانون الانتخابات ... فقلتُ له : أي قانون من القانونين ؟! فقال بصفة المندهش : أي قانونين ؟!... فأجبته القانون الأول قانون الانتخاب المكتوب ، الذي لا حكم له إلا تسجيل (خلاف الواقع) ... أما القانون الثاني فهو قانون الترشيح (غير المكتوب) ... فضحك الباشا ... وقال : لا ... لا ... القانون الأول ... الأول ...!!

يستفيض خير الدين العمري في مذكراته قائلاً :

وتقريراً للواقع ، نقول أن الوزارات كانت قد سارت في موضوع الانتخابات على وفق أسلوب واحد وهو الترشيح وضمان انتخاب المرشحين ، غير أنه كان هناك بعض الشذوذ في الطرائق ، كان لها أثر شديد في إذلال الحياة النيابية وجعلها عالة على البلاد .

فالضربة الأولى جاءت على يد نوري السعيد في وزارته الأولى سنة ١٩٣٠ .

وتفاصيلها كما يأتي : كانت الانتخابات سنة ١٩٣٠ قد تقدمت وكادت أن تنتهي . وكنتُ عضواً في الهيأة التفتيشية ومنتخباً ثانوياً ومرشحاً للنيابة . وكان تحسين علي متصرفاً في الموصل ، فذهب إلى بغداد لتلقي (الوحي النهائي) عن أسماء المرشحين . ولما عاد زرته في مكتبه الرسمي .وبعد السلام والسؤال أخرج من جيبه المفكرة السنوية الخاصة به وفتحها وقال: انظر هذه أسماء مرشحي الحكومة ، ثم أن إسمك على رأس القائمة . فلما نظرتُ القائمة رأيتُ إسمي وشهرتي على رأس الأسماء ، فقلتُ : نشكرهم ونشكركم ، فقال : ولكن هناك شرط ...!! فقلتُ : وما هو ؟! قال : أن تعطي تعهداً خطياً بقبولك المعاهدة ، ثم بدخولك حزب الحكومة وهو حزب العهد . فوجمتُ ... ثم أردفتُ قائلاً : ولم كل هذا ؟ قال : هذا هو أمر رئيس الوزراء . قلتُ : ولكنني رشحتُ للنيابة مرتين ، وكانت هناك أمور جسام ، وكان هناك رئيس ، وكان هناك وزراء... وأحدهم هو نفسه نوري السعيد ، لكنني لم أكلّف بمثل هذا التكليف المهين فقد اعتمدوا على شرفنا وقولنا ... حتى أنني قد بقيتُ نائباً مستقلاً أكثر من شهر ولم أدخل حزب التقدم إلاّ بعد أن طلب إليّ المرحوم عبد المحسن السعدون الاشتراك في حزبه ، فاشتركتُ في حزب التقدم لقناعتي بإخلاص زعيم الحزب وإصابة أهدافه . والآن أرى نفسي أمام شيء جديد تعافُه النفس الأبية ، وإني لستُ مستعداً لقبول هذا الشرط المخطوط ، لأن بهذا التعهد المخطوط يراد من المرشح أن يشتري كرسي النيابة بصك يدل على الذل والمسكنة ... فأي خير في مثل هذا النائب المملوك ...؟!

فالحكومة تريد أن تستند إلى المجلس وتبرم المواثيق والأحلاف مع الدول الأجنبية ، لذا كان عليها أن تكون قوية بمجلسها النيابي .. ثم كان عليّ أن أودع المتصرف وأخرج ... وكانت نتيجة هذه المكالمة بطبيعة الحال أن الحكومة أخرجت إسمي من بين مرشحيها ، ولابد أنها وجدت من يعطي مثل هذه الصكوك...

ولأن الحكومة أرادت التشدّد في هذا الموضوع وعدم التسامح بأن يكون النصر القاطع لغير مرشحيها ، فقد وجهتْ الإنذار إلى الموظفين المهدّدين بقطع الأرزاق وسوء المصير . وكان أن حصل في فترة قبل الانتخاب الثاني أن أذاعت الحكومة بشتى الوسائل أن (ذيلاً) لقانون انضباط موظفي الدولة سيصدر قريباً وفيه يحق فصل الموظف بقرار من مجلس الوزراء .

وأفهم الموظفون من طرف خفي بأن سيرهم أثناء الانتخابات سيكون له أثر في مصاير وظائفهم . وقد حكى لي أحد أصدقائي أن (آمره) حضر إلى مقره الرسمي لإفهامه (بالذات) أسماء مرشحي الحكومة . وكان أن رأى الآمر أحد أولاد الموظف المذكور كان متواجداً في الدائرة حينذاك . فأشار إليه الآمر أن يتقدم نحوه ، فلما فعل الطفل قال الآمر وهو يقدم نصائحه الى الوالد : أرجوك فكّر في مستقبل هذا الطفل فيما إذا خالفتَ أوامر الحكومة ...!! في الحقيقة كان هذا إسفافاً ما بعده إسفاف ... وسخافة تصل بالآمر إلى درك أسفل من التفاهة ...!!

ويمضي خير الدين العمري يسرد ذكرياته عن الانتخابات قائلاً :

وقد جرى قبل هذا الاستفتاء ثلاث انتخابات أحدها انتخاب المجلس التأسيسي ، ولم يصل الأمر بالحكومة إلى هذا الحال الذي حطّ من كرامة الموظفين الذين هم عماد الدولة الأساس .

ثم جرت الانتخابات في مركز الموصل فكانت حفلة مضحكة كادت أن تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه ... بحيث أن مؤيدي الحكومة لم يردّوا على أي واحد ندّد بالمعاهدة ... فلم يدافعوا عنها ولم يذكروا حسناتها بل جاءوا بما استوجب السخرية ...

وصرخ أحد المرشحين : (هل يعقل يا ناس بأنني وأبي جواسيس للإنكليز ...؟!! مع العلم أن والدي كان قد توفي قبل الاحتلال بسنين) . وقال المرشح الذي أصبح نائباً محترماً ، أنه قد نام على التراب في ثورة الحجاز ، فقلنا له انه يجهل التأريخ ... وقال مرشح ثان أن رجال الوزارة رجال أسود ... فقلنا له : إننا لم نقل أنهم ثعالب ...!! وفي هذا المقام توجب علينا أن نقدم إحصاءً طريفاً عن المجالس النيابية منذ أول يوم تأسيسي وكما يأتي :

لقد جرت في العراق تسع عمليات انتخاب ، وتألفت تسعة مجالس نيابية . وكان عدد النواب (٨٨) نائباً إلى سنة ١٩٣٤ ثم أصبحوا في وزارة علي جودت (١١٠ نائباً) . وهنا ندرج قائمة بأعمار المجالس النيابية وأسماء رؤساء الوزارات الذين رشحوا النواب فيها .

المجلس من إلى عمر المجلس اسم رئيس الوزراء

يوم شهر سنة

الأول ١٦ تموز ١٩٢٥ ١٩كانون ثاني ١٩٢٨
٢٦٣ عبد المحسن السعدون

الثاني ١٣ أيار ١٩٢٨ ١ تموز ١٩٣٠ ١٨ ٢١
عبد المحسن السعدون

الثالث ١تشرين الثاني ١٩٣٠ ٨تشرين ثاني١٩٣٢ ٢٠٧ نوري السعيد

الرابع ٨ آذار ١٩٣٣ ٤ أيلول ١٩٣٤ ٢٧ ١٥
ناجي شوكت

الخامس ٢٩ كانون أول ١٩٣٤ ٩ نيسان ١٩٣٥ ١١ ٠٣
علي جودت

السادس ٨ آب ١٩٣٥ ٣١تشرين أول١٩٣٦ ٢٢ ١٢
حكمت سليمان

السابع ٢٧ شباط ١٩٣٧ ٣٠ آب ١٩٣٩ ١ ٦
٢ جميل المدفعي

الثامن ٢٣ كانون أول ١٩٣٧ ٥ شباط ١٩٣٩ ١٥ ٢١
نوري السعيد

المجلس النيابي العراقي عام ١٩٥٢

التاسع ١٢ حزيران ١٩٣٩ الله أعلم الله أعلم

وهكذا نجد أن أطول المجالس عمراً هو المجلس الأول الذي قام بترشيح نوابه السعدون إذا ما استثنينا المجلس القائم الآن . وأقصر المجالس عمراً هو المجلس الخامس الذي انضوى تحت لواء علي جودت رئيس الوزارة .

وأما آفة حلّ المجالس النيابية فقد عمّت على الجميع . ولولا آفة الحل ، لما احتوت المدة من سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٤١ أكثر من أربعة مجالس – على وفق الامتداد الزمني الشرعي لكل دورة مجلس .

لكن في المجلسين الأول والثاني ، فقد كانا يسيران على وفق نظام حزبي منظّم ، فضلاً عن تنظيم المعارضة نفسها . فالحكومة برئاسة عبد المحسن السعدون كانت تستند إلى حزب برلماني هو (حزب التقدم) . أما المعارضة فكانت بزعامة ياسين الهاشمي المستندة إلى حزب الشعب .

وفي المجلس الثالث كان حزب العهد بزعامة نوري السعيد هو المسيطر على المجلس، في الوقت الذي كانت فيه المعارضة غائبة (غير موجودة) بسبب استقالة أقطابها .

أما المجلس النيابي الرابع ، فقد أوجد فيه ناجي شوكت شيئا جديداً يسمى (كتلة) ... إلى أن استقال ناجي شوكت وترك الشقاء على من بقى ... في الوقت الذي كان يمثل المعارضة ياسين الهاشمي .

وفي المجلس النيابي الخامس قام علي جودت الأيوبي بتشكيل حزب برلماني تحت أسم (حزب الوحدة) . وفي الفترة عينها كان ياسين الهاشمي قد جمع شمل المعارضة ؛ إلا أن هذا المجلس لم يمكث تحت القبة أكثر من ثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً . وللطرفة نقول أن وزارة علي جودت قد حذت حذو وزارة نوري السعيد في أخذها (تعهدات خطية) من مرشحي النيابة يتعهدون فيها بأنهم داخلون في حزب الوحدة . وعلى الرغم من ذلك فإن مجلس علي جودت لم يقض العدة وهي ثلاثة أشهر وعشرة أيام إلا وأصبح في (خبر كان) ثم تبعثر ، ثم دفن في مقبرة الأحزاب العراقية . وقد حاول البعض أن يبعثوا هذا الحزب من الموت بزعامة جميل المدفعي فلم يفلحوا .

وفي المجلس السادس الذي كان زعيمه ياسين الهاشمي ، ألغى الهاشمي (حزب الأخاء) (حزبه وحزب رشيد عالي) واكتفى بكتلة برلمانية ، وهي البدعة التي أصبحت سنّة شرعية .

وفي المجلس السابع تكتل بعض النواب تحت راية (حزب الاصلاح الشعبي) حتى قيل عن هذا الحزب أنه (حزب شيوعي بلشفي) ... لكن بعد حين زال هذا العنوان وبقى المجلس يتخبط في دياجير النفاق والتزلّف ، ابتداءً من مصادرة أموال الوزراء السابقين ومحاكمتهم ، مروراً باقتراحات نصب تمثال المرحوم بكر صدقي وإهدائه داراً كونه المنقذ الأعظم لهذه الأمة ...!! ثم رأينا فيما بعد كيف تبعثر المنافقون عند مقتل بكر صدقي وكيف انقلبوا على حكمت منقلباً ، وأي منقلب ...؟!

وهكذا ذهب هذا المجلس بعد أن سجّل على نفسه الاعتراف بمشروعية (أم الكبائر رقم ٢) ، وهي زج الجيش في السياسة ، الأمر الذي أثمر (زقومية) .

وأما المجلس الثامن فقد جاء إلى القبة بترشيح المدفعي ، إلاّ أن هذا المجلس لم يكن يسنده حزب ولم تكن تؤيده كتلة ، رغم أن الكثيرين ممن أصبحوا (نواباً) قد كوفئوا (بالنيابة) بناءً على تأييدهم المدفعي بإرسالهم البرقيات خالعين عليه زعامة (حزب الوحدة) الذي مات وهو في مهده . وقد كانت من مثالب هذا المجلس تأييده سياسة اسدال الستار على الماضي ، وهي (أم الكبائر رقم ٣) .

وبهذه المناسبة ، أردنا – نحن الباحث – أن نذهب قليلاً في بعض تفصيلات تشكيل المدفعي – حزب الوحدة – ... فضلاً عن بعض الأمور السياسية التي سبقت ذلك ، عليه نقول:

كان في يقين نوري السعيد عند تشكيله لحزب العهد ان يكون ذلك تيمناً بجمعية العهد التي تشكلت في العهد العثماني وكان السعيد من أبرز أعضائها .

ومما ثبت تاريخياً أن أساس اقدام السعيد على تشكيل الحزب هو الحاح الملك فيصل الأول عليه بعد الاتفاق مع المندوب السامي البريطاني (فرنسيس همفريز) على فكرة مفادها ان السعيد هو أبرز من يستطيع عقد معاهدة جديدة للعراق مع بريطانيا بناء على طلب وإلحاح من جانب الأخيرة . وفعلا حصل ذلك ، حيث تم في عهد حزب (العهد) تصديق المعاهدة العراقية البريطانية المعروفة باسم (معاهدة سنة ١٩٣٠) التي جوبهت في حينها بالرفض وقيام المظاهرات والاحتجاجات . فقد كانت الشعارات المرفوعة على اليافطات صدى لارادة المتظاهرين .. (يحيا العراق) و (ارادة الأمة فوق الجميع) و (لا معاهدة .. فليسقط الخونة) . ومع ذلك تم عقد المعاهدة في الثلاثين من حزيران سنة ١٩٣٠ فأضربت مدينة بغداد واستمر الاضراب دون انقطاع لمدة اربعة عشر يوماً .

وبعدها حدث خلاف داخل العهد حين قدم جميل المدفعي رئيس مجلس النواب مذكرة احتجاج على تصرفات مزاحم الباجه جي . وفي سنة ١٩٣٥ شكّل المدفعي وزارته الثالثة مُدخلاً معه السعيد في تلك الوزارة وعيّن علي جودت الأيوبي رئيس حزب الوحدة الوطنية رئيساً لمجلس النواب .

وعلى أثر ذلك الخلاف قام المدفعي بالانفصال عن حزب السعيد وعمل لوحده على تأسيس حزب سياسي جديد يدعو اليه معارفه ويجمع تحت خيمته أنصاره وكل من يناصب الباشوات (الهاشمي والسعيد) العداء ...!!

وقد تأملت الشخصيات التي تقدمت إلى المدفعي بمساعدتها في اسناد الحزب ، ان يكون هذا العهد مفتاحاً جديداً للعمل السياسي الوطني وملاذاً خالصاً من تأثير النفوذ البريطاني لما عرف عن المدفعي مناوأته الانكليز وخاصة مواقفه العدائية منهم في ثورة تلعفر سنة ١٩٢٠ . الا ان طموح مؤيدي المدفعي في ذلك ذهب أدراج الرياح حين قام بكر صدقي بانقلابه المفاجئ سنة ١٩٣٦ فانتهت بذلك حياة حزب العهد وحزب الوحدة (الذي لم ير النور) فتشتت السياسيون جميعاً شذر مذر في الآفاق .

ومما يجدر ذكره ان حزب الوحدة الوطنية الذي أسسه في أيلول من سنة ١٩٣٤ علي جودت الأيوبي كان على أثر الانشقاق الذي حصل داخل حزب الاخاء الوطني الهاشمي ، وقيام الأيوبي بتشكيل الوزارة في ٢٧ آب سنة ١٩٣٤ .

ومن أبرز قادته صالح باش أعيان وسالم قاسم أغا وبهاء الدين النوري ونجيب الراوي وحازم تحسين أغا والحاج رايح العطية وعبد الهادي الجلبي .

وقد ثبت لنا من خلال التدقيق والتمحيص ان حزب المدفعي (حزب الوحدة) كان مشروعاً لتأسيس الحزب ولم يثبت لنا انه أجيز تحت أي شكل من الأشكال ولم يمارس نشاطاته ، ودليلنا على ذلك أن كتابين مهمين صدرا في العراق وناقشا بتفصيل مسهب تاريخ تأسيس الأحزاب هما كل من كتاب (الأحزاب السياسية في القطر العراقي للفترة من ١٩٠٨–١٩٥٨) المطبوع سنة ١٩٧٧ لمؤلفه الفاضل عبد الجبار حسن الجبوري ، وكتاب (الأحزاب السياسية في العراق ١٩٢١–

في المجلس السابع تكتل بعض النواب تحت راية (حزب الاصلاح الشعبي) حتى قيل عن هذا الحزب أنه (حزب شيوعي بلشفي) ... لكن بعد حين زال هذا العنوان وبقى المجلس يتخبط في دياجير النفاق والتزلّف ، ابتداءً من مصادرة أموال الوزراء السابقين ومحاكمتهم ، مروراً باقتراحات نصب تمثال المرحوم بكر صدقي وإهدائه داراً كونه المنقذ الأعظم لهذه الأمة ...!!

ذاكرة عراقية

١٩٣٢) المطبوع سنة ١٩٧٨ لمؤلفه الباحث الدكتور فاروق صالح العمر . ولم يذكر أي منهما شيئاً عن ذلك الحزب . الا انه يتحتم علينا ان ندون الحقائق التاريخية كما حدثت لا كما يراد لها ان تكون ، حيث ان شخصيات موصلية مشهود لها بالوطنية والاخلاص والت الحزب وقت تأسيسه (بأمل وطنيته) حيث قامت جريدة العُقاب لصاحبها السائح العراقي يونس بحري بنشر البرقية الواردة من الموصل إلى الجريدة بعددها ذي الرقم ١٧٢ الصادر في ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٥ . وقد أوردت الجريدة ذلك الخبر بترويسة تقول : (الموصل تؤيد حزب الوحدة وعلى رأسه الزعيم المدفعي) . ثم أعقبت الجريدة تذكر في التفاصيل (هبطت على ادارة جريدة العقاب برقية من أعيان ووجهاء الموصل وقادة الرأي فيها يؤيدون جميل بك المدفعي وحزب الوحدة . ولاشك ان ذلك لدليل ساطع على ما للزعيم جميل بك وصحبه من المكان في قلوب الأمة) .

عنهم : مصطفى الصابونجي ، احمد بك الجليلي ، عبد الله باشعالم ، محمود خيري النائب ، الدكتور داؤد الجلبي ، محمد صدقي سليمان (الكهية) المحامي ، المحامي ياسين أفندي العريبي ، سعد الدين المحامي ، سليم الجراح ، حاج مصطفى سري .

وباختصار ، يمكننا القول أن جميع المجالس النيابية ، ومن ضمنها المجلس التأسيسي ، تألفت كلها ، بترشيح الوزارات القائمة في حينها ، ولم يكن لأي وزارة أن تسير على غير هذه الطريقة ، كون قانون الانتخاب لا يتفق وحالة البلاد الثقافية والاجتماعية ، حتى بعد مضي عشرين سنة على تأسيس الحكم الوطني .

يمضي خير الدين العمري في تدبيج ذكرياته عن الانتخابات قائلاً :

إذا فلا مناص للوزارات من اتباع قانون الترشيح ، أو تبديل الأصول الموضوعة لانتخاب النواب في القانون الأساس وقانون الانتخاب ، تلك الأصول التي ظهر فشلها بصورة لا تقبل الجدل ... إذا لم تدهورت الحياة النيابية في العراق من سيئ إلى أسوأ ...؟! سؤال يتوجب على كل من يتصدى لكتابة تأريخ العراق أن يضعه في صدر أولوياته ... وفي يقيننا أن أحد أهم الأسباب هي احتضان الأقرباء والمحاسيب والمناسيب ولنا في موقف عبد المحسن السعدون من رفضه ترشيح ابن أخية توفيق السعدون لملء دائرة متصرفية العمارة الانتخابية، علماً ان الهيأة الإدارية لحزب التقدم (وكان عبد المحسن السعدون أمينه العام) كانت قد أوصت في غيابه بترشيح توفيق لقناعة الهيأة بكفاءة المرشح وثقافته ما يؤهله للنيابة .

وكان أن انطوى هذا الأسم من التداول وتم ترشيح سواه ... وهكذا كان ... ومما يجدر بنا ذكره أنه بعد انتحار عبد المحسن السعدون وانحلال النيابة في لواء المنتفك أعاد حزب التقدم ترشيح (توفيق السعدون) مكان المغفور له عمه ونجح بالطبع وأصبح نائباً ولكن بعد وفاة عمه وزوال نفوذه كرئيس للحكومة .

وهناك أسباب أخرى أدت إلى ضعف العملية النيابية . إذ من المعلوم أن القانون الأساس لا يجيز حل المجلس إلا لسبب وجيه ، وإذا تم حل المجلس لذلك السبب ، فلا يجوز حل المجلس الجديد لأجل ذلك السبب نفسه . وفي الغالب يكون سبب حل البرلمان هو اختلاف في وجهات النظر بين الحكومة والمجلس في مصالح يُدّعى أنها تخص المصلحة العامة للبلاد ...

وبسبب مكوث أغلب المجالس النيابية فترات قصيرة ، فقد غدت النيابة أمراً غير مستحباً عند العامة من الناس ومن غير النواب ، إذ نتج عن ذلك أن غدا الإقبال على الانتخاب ضعيفاً في كثير من الدوائر ، وقد شاب عملية الانتخابات – علي مرّ تعاقبها – وقائع مضحكة ، كثيراً ما تندّر بها العامة قبل الخاصة ، فوصلت إلى أبناء الشعب الاعتياديين يروونها لأولادهم وأهل بيوتهم...

ومنها القصة الآتية : سادت في فترة من الفترات فكرة إقناع الصحافيين بالعملية النيابية فتسابقوا إلى ترشيح أنفسهم ، أو ترشيح الآخرين لهم – لا فرق – حيث تسابقت الوزارات إلى كسب ودّ أصحاب الصحف الكبيرة والمهمة وسحبهم إلى جهة النيابة فقد قام الأستاذ سليم حسون صاحب جريدة العالم العربي والأستاذ روفائيل بطي – كلاهما – بالترشيح تحت قائمة مرشحي الحكومة لنواب الموصل ...

يمضي خير الدين العمري في عرض الرواية في مذكراته على الصفحة ٢٢٣ قائلاً :

وعقيب الانتخاب بساعة دق جرس التلفون ، وجاءت المكالمة بأسمي (بصفتي خير الدين العمري عضواً في هيأة المراقبة) ، وكان المتحدث الأستاذ سليم حسون يسأل من بغداد عن نتائج الانتخابات ، فذكرت له ان النتائج جاءت طبق الأصل ، ثم تلوتُ عليه الأسماء الفائزة ، فإذا به يصرخ على التلفون (وأنا ..؟!) فقلتُ له (لا أسم لك مولانا) فسدّ التلفون دون إلقاء التحية أو تقديم الشكر ...!!

وقد ظهر لنا فيما بعد أصل قصة الأخطاء الحاصلة والتي أدت إلى الصدام في المصالح ، ثم عودة المصالح إلى ما كانت عليه ... كل هذا يحدث والناخب المسكين ، سواء كان ابن الموصل ، أو أبن البصرة ... ليس له من أمره سنداً ...

فيحكي المفسّرون قائلين : ان الكاتب الذي كتب البرقيات السرية بترشيحات الحكومة كتب اسم روفائيل بطي في قائمة ترشيحات لواء البصرة ، وبعد أن اكتشف الكاتب خطأه ، وأن روفائيل بطي هو ابن الموصل وليس البصرة ...!! عاد عن خطئه وكتبه مرة ثانية في قائمة ترشيحات لواء الموصل وأرسل بها برقية ، وبقي سليم حسون (خارج الملاك) ، مع العلم أن الكاتب لم يشطب اسم روفائيل من البصرة ، وهكذا أصبح – بعد أن ظهرت النتائج – أن روفائيل بطي (فاز بالنيابتين) شمالاً وجنوباً ... إلاّ أن ذوي الأمر تلافوا القضية ، فقام روفائيل واستقال من نيابة البصرة ... شاكراً البصريين الكرام على ثقتهم الثمينة التي وضعوها فيه ...!! وفي البصرة (بعد أن شغر مقعد نيابي واحد) جمعوا الناس مرة أخرى من جميع أطراف اللواء (كما ينص القانون) وانتخب سليم حسون ... أي ان هؤلاء المساكين الذين جمعوا عادوا ووضعوا (بالحسون) ما كانوا قد وضعوه (في البطي) من ثقة ثمينة ... فجاء الآن دور الحسون ، فقام وشكرهم بدوره على ما وضعوه فيه من ثمين الثقة ...!!

ومن طريف ما ذكره السائح العراقي يونس بحري في جريدة العُقاب عن موضوع الصحافة والترشيح للانتخابات النيابية ، قال البحري ساخراً من كلا الصحفيين السمعاني وبطي وتحت عنوان شارع الصحافة ايام زمان ... الكراسي لا تنتزع العقائد ..! :

كانت جريدة العقاب التي أسسها ورأس تحريرها السائح العراقي يونس بحري لا تألو جهداً في توجيه النقد اللاذع للسياسيين كما للصحفيين فضلاً عن الكتّاب والشعراء والعاملين في الحقول العامة الاجتماعية والاعلامية ، وحسبما تتطلبه ظروف الصراع السياسي والصحافي للساحة العراقية يومذاك .

ففي العدد الثالث الصادر في الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٣ نشر البحري انتقاداً في جريدته إلى بعض الصحافيين من زملاء المهنة قال فيه : (السمعاني وبطي) من بلدة واحدة ، ويشتغلان في حرفة واحدة وهما من لحم ودم واحد الا انهما مع ذلك يختلفان في الرأي والمبدأ ... وفضلاً عن ذلك فهما يختلفان عن بعضهما في الطول والعرض.

فالسمعاني (عهدي) إلى قلامة ظفره ، وبطي (إخائي) إلى قمة رأسه ولأجل ذلك يقوم كل منهما والدعاية لحزبه . بطي يذهب إلى مصر فتحتفي به الأوساط والاعراض ، ويزور النحاس باشا فيرد النحاس زيارته ويصرف المال مثل حاتم الطائي .

والسمعاني في بغداد يسير مع (ي) فرنكول المهاجر الموصلي فيشتغل بالقضية (التيارية) مدافعين عن حقوق العراق ...!!

وحرام على الزملاء ان يقضيا الوقت بالمشاحنات في حين ان الواجب يدعو الجميع لمعالجة قضايا البلاد الحيوية ... على الاقل راعوا حقوق المهنة يا أساتذة ...!

وفي العدد الصادر في الثامن من كانون الأول من سنة ١٩٣٤ كتب البحري بقلمه بوصفه رئيساً للتحرير مقالاً جعل له عنواناً في وسط الصفحة يقول :(الكراسي لا تنتزع العقائد) إلى الزملاء النواب سليم حسون – عبد الغفور البدري – روفائيل بطي . الحمد لله على سلامة الوصول – وصولكم إلى الكراسي الوثيرة التي تهواها قلوبكم الرقيقة . فقد كان طريقاً وعراً محفوفاً بالمخاطر .. وشكراً للظروف التي وضعت صاحبة الجلالة في مقام يليق بها ...!

عن كتاب حكايات سياسية لخيري

الطيار الخاص للملك غازي

وثائق

الضابط جواد حسين

طيار الملك غازي الخاص

يـــروي تـفـاصـيـل مـقـتـلـه

- القسم الاول -

ولد في بغداد وأتم دراسته الثانوية ٢٧-١٩٢٨ وكان من بين مجموع التلاميذ الذين نجحوا في امتحان البكالوريا في ذلك العام في العراق. وكان في البداية من حيث الأفكار يفكر في مستقبله وأي كلية يدخل بعد تخرجه من الثانوية أيكون مدرسا ويخضع لقوانين الخدمة المدنية ويتقيد بقيودها وسلاسلها؟

قدم طلباً إلى وزارة المعارف لإرساله ضمن البعثة لتلك السنة إلى برمانة للتخصص بإحدى الفروع ليصبح أستاذا ام سيكون طبيبا حيث قبل بالكلية الطبية أم يستجيب لطلب وزارة الدفاع لإرساله إلى انكلترا للتخصص في فن المدفعية وبعد دراسة دقيقة لهذه الأمور استقر رأيه في النهاية على الانخراط في السلك العسكري حيث وضع نصب عينيه خدمة بلاده عن طريق الجيش. وادخل مع رفيقيه غازي محمد فاضل الداغستاني وصايم رضا العسكري في الكلية العسكرية لأجل تمرينهم على الامور العسكرية البدائية اللازمة للمستجدين وظلوا فيها حوالي شهرين الى ان حل موعد سفرهم إلى انكلترا.

تأخر جواد عن السفر حوالي أسبوع للتداوي من التهاب أصاب احد عينيه قبل سفره. وقد ألقى عليهم أمر سريتهم محمود سلمان محاضرة قبل سفرهم الى انكلترا موضحا لهم الإرشادات الضرورية الواجب إتباعها وقد التحق جواد برفيقيه بالاكاديمية العسكرية في سنت هاوست وادخل صنف المستجدين.وبعد إكمال الأكاديمية بثلاث دورات متتاليات تخرج منها برتبة ملازم وعاد إلى وطنه. استخدم في المدفعية شهورا طلب خلال هذه الفترة من وزارة الدفاع السماح له بالطيران العسكري مرة أو مرتين. الفصل الأول الانقلاب عدت مساء يوم ٢٨ تشرين الأول ١٩٣٦ إلى البيت بعد قضاء سهرتي ورأيت كل شيء هادئا والجميع نيام غارقين في سبات عميق بكل طمأنينة وهدوء ورحت انا الآخر إلى فرشتي لأزيل عني تعب النهار وضوضاءه لترويح نفسي وجسدي بأوفر ما يمكن من الراحة والهدوء تحت جناح الليل الحالك وسكونه وبعد تفكير قليل و كثير أخذتني اسنة الكرى تحت طياتها وغبت انا الاخر عن عالم الحياة ولم اذكر شيئا منه إلا عندما استيقظت صباح يوم الخميس الموافق ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ على زقزقة الحمام والعصافير وطقطقة أجنحتها وهرج ومرج الناس بين غاد وآت واستغفرت ربي وشكرته على نعمته الثمينة التي جعلتني من الاحياء مرة اخرى.

فتثاءبت وتمصرت ثم نهضت من فوق الفرشة وبعد قضاء حاجياتي الضرورية من غسل وتنظيف، تناولت فطوري وارتديت ملابسي بعدها هممت بالرحيل واذا بوالدتي تناولني ورقة نقدية ذات الدينار الواحد فابرقت اسارير وجهي وفرح قلبي فرحا شديدا لان جيبي كان افرغ من (فؤاد ام موسى) في مثل هذا اليوم من الشهر الذي يعتبره الموظف من ايام المحاق لذلك استغربت من سخاء كرم الوالدة الذي جاءنا بوقته المناسب حقا ثم اخبرتني بان (أخاك جاءنا بعد ظهر الامس واخبرنا بانه مسافر الى المعسكر للاشتراك في تمارين الجيش السنوية في محل لم يخبرنا به مطلقا وترك لك هذه الدينار خرجية) فقلت لها شكرا لك وله ثم طويت الدينار ووضعته في جيبي بكل حرص دون اي تردد وخجل وتركت البيت متوجها الى مكتبي في وزارة الداخلية وقد راودتني الهواجس والتفكير ونفسي وقلبي دار بدوارن/ معسكر/ تمارين/ جيش لم اتعود سماع مثل هذه الكلمات من جواد قبلا وفي فترة وجوده في بغداد وبقيت اضرب اخماسا باسداس وقلت في نفسي لابد من وراء الاكمة ما وراءها ثم بقيت أفكر على طول الطريق الى ان وصلت الوزارة ودخلت في مكتبي وبادرت في مطالعة مجموعة الصحف المحلية اليومية التي ترد الى الوزارة عادة كل يوم من المطابع عملاً بقانون المطبوعات وحوالي الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم الخميس المصادف ٢٩ تشرين الاول اذ جاءني احد الموظفين يخبرني بان شباناً قرب الوزارة يمتطون دراجات يوزعون المناشير على المارة في الشوارع وخاصة شارع المتنبي (شارع الانتكخانة) المؤدي الى دوائر الحكومة وكذلك طيارات تنشر مثل هذه المناشير في سماء العاصمة وكنت بين مصدق ومكذب واذا بموظف آخر يحمل لي منشورين من هذه المناشير اولهما نداء من الفريق بكر صدقي قائد القوة الوطنية الاصلاحية الى الشعب العراقي الكريم وهذا نصه:.

أيها الشعب العراقي الكريم لقد نفذ صبر الجيش العراقي المؤلف من أبنائكم على الحالة التي تعانونها من جراء اهتمام الحكومة الحاضرة بمصالحها وغاياتها الشخصية دون ان تكترث بمصالحكم ورفاهكم فطلب الى صاحب الجلالة الملك المعظم إقالة الوزارة القائمة وتأليف وزارة من الرجال المخلصين برئاسة السيد حكمة سلمان الذي طالما لهجت البلاد بذكر مواقفه المشرفة وبما انه ليس لدينا قصد من هذا الطلب إلا تحقيق رفاهكم وتعزيز كيان بلادكم فلاشك في انكم تعاضدون اخوانكم افراد الجيش ورؤسائه في ذلك وتؤيدونه بكل ما أوتيتم من قوة -قوة الشعب- هي القوة المعول عليها في الملمات.

وانتم ايها الموظفون لسنا الاخوانا وزملاء لكم في خدمة الدولة التي نصبو كلنا الى جعلها دولة ساهرة على مصلحة البلاد واهلها عاملة على خدمة شعبكم قبل كل شيء فلابد انكم ستقومون بما يفرضه عليكم الواجب الذي الجأنا الى تقديم طلبنا الى صاحب الجلالة ملكنا المفدى لانقاذ البلاد مما هي فيه فتقاطعون الحكومة الجائرة وتتركون دواوينها ريثما تؤلف الحكومة التي ستفخرون بخدمتها اذ ربما يضطر الجيش بكل اسف لاتخاذ تدابير فعالة لا يمكن خلالها اجتناب الاضرار بمن لايلبي هذه الدعوة المخلصة ماديا وادبيا.

بكر صدقي الفريق قائد القوة الوطنية الاصلاحية وثانيهما كتاب للملك غازي الاول من قبل الفريقين بكر صدقي وعبد اللطيف نوري وهذا نصه:. لأعتاب صاحب الجلالة الملك المعظم غير خاف على جلالتكم بما لاقى ابناء بلادكم من جراء سياسة الحكومة الحاضرة سياسة التخريب والمحاباة والاستغلال والاسرافات التي لا مبرر لها وتقديمها المصالح الشخصية والمنافع الذاتية على المصالح والمنافع العامة والاستهتار بدماء ابناء بلادكم التي اريقت لا لسبب غير الاغراض الشخصية وتطمين رغبات المحسوبين والمنسوبين لهذه الحكومة من جرها غرورها الى التطاول على صاحب العرش المفدى بل ربما تحدثوا بما وراء ذلك تعلمون جلالتكم بأن الجيش برؤسائه وجنوده انما كان خلال هذه المدة يطيع الاوامر المقرونة بارادتكم بدافع الاخلاص الى قائده الاعلى اما وقد تفاقم الامر واستمرت حالة البلاد تتدهور من سيء الى اسوأ والاضطرابات فيها متوالية وسياسة الحكومة لم تتبدل والعدل مفقود بين رعايا جلالتكم والبؤس منتشر في بلادكم كل ذلك لاجل اسعاد طبقة خاصة على راسها اعضاء الحكومة الحاضرة فالجيش الذي تهمه مصلحة البلاد وتعزيز كيانها بين الامم المتحفزة يأبى ان يبقى صامتا تجاه هذه الحالة السيئة التي لا شك في ان ستكون نتيجتها الدمار لهذا يتقدم الجيش ليعرض الى اعتاب جلالتكم طالبا انتشال البلاد من هذه الهوة السحيقة باصدار ارادتكم المطاعة باقالة الوزارة الحاضرة وتعيين وزراء من ابناء الوطن المخلصين برئاسة السيد حكمت سليمان خلال ثلاث ساعات وعلى فرض مخالفة الوزارة امر جلالتكم بالتنحي عن

كيفية مقتل جعفر العسكري وبعد مضي ايام عدة قصار على الانقلاب اجتمعت بجواد في البيت ودخلنا في موضوع الانقلاب الذي كان حدثاً مهماً في تاريخ العراق السياسي وقد سر الجميع به شيباً وشباباً من ادنى العراق الى اقصاه .فقلت له لماذا اشتركت في هذا الانقلاب وانت غير مسؤول بتاتاً عن الاشتراك فيه فاجابني بقوله:- صدرت الاوامر الى كافة ضباط القوة الجوية الملكية العراقية قبل الانقلاب بيوم واحد

الحكم خلال المدة المضروبة فالجيش الذي لايزال المخلص الامين لجلالتكم ولبلاده سيقوم بواجبه لتنفيذ هذا الطلب خدمة للمصلحة العامة التي تسهرون جلالتكم عليها. الفريق قائد الفرقة الثانية الفريق قائد الفرقة الاولى وعندما قرات هذين المنشورين والتمعن فيهما اخذت مع بقية رفاقي الموظفين نضرب اخماسا باسداس بهذه الحركة المفاجئة على حين غرة التي شلت حقيقة اعمال الحكومة واخذت على الموظفين وبينما كنا نحن منغمسين ومتصحفين في البحث والرد في هذا الموضوع حتى وصلت الساعة الحادية عشرة والنصف واذا بانفجار شديد الصوت اهتزت له جدران البناية وامتلأت الغرف بدخان كثيف كاد احدنا لا يرى الاخر ودب فينا الرعب والفزع وأعطى كل واحد منا ساقيه للريح متجهين نحو باب الوزارة الرئيسة هربا وقد تجمع الموظفون وغيرهم في الباب واذا بالناس واقفين ورؤوسهم الى السماء يؤشرون الى طائرات الجيش وهي تحلق فوق دواوين الحكومة وترمي بعض قنابلها عليها وقعت احداها في ساحة السراي امام بناية مجلس الوزراء ووزارتنا ولم يصب احد سوى شخص واحد بساقه لا اعرفه شاهدته يصلنا من داخل الوزارة وهو ينزف دماً نتيجة شظية اصابت ساقه في الحال اخرج المستر (ادموندس) مستشار وزارة الداخلية الذي كان واقفاً معنا هو والسيد عبد الحميد رفعت مدير الداخلية العام منديله الابيض وضمد بها ساق هذا الشخص وأرسله الى المستشفى .وهكذا أخرست القنبلة كل واحد منا والزمته على ترك العمل والفرار من مكتبه قهراً وجبراً كما جاء وقتها في تهديد منشور بكر صدقي وبقينا واقفين في باب الوزارة واجمين ومحتارين لم نجرا تركها الى الشارع للذهاب الى دورنا ولا البقاء في اللحظة الخطرة تحت البناية خوفاً من اصابتها بالقنابل مرة ثانية لئلا يصيبنا الضرب.

وبعد فترة وجيزة وخلو الفضاء من الطيارات امرنا السيد عبد الحميد رفعت بترك الوزارة والذهاب كل الى بيته.الا انني عندما رأيت الحالة قد هدأت تشجعت وبقيت واقفاً دون الانصياع الى امر السيد عبد الحميد رفعت لأرى ماذا سينجم من هذه الحركة. وقد فهمت بهذا اللحظة سر سفر جواد واشتراكه بهذه الحركة وزادني حقداً عليه لانه لم يخبرني على الاقل بعدم الحضور للوزارة في هذا اليوم وكان ذلك انانية مني للتخلص من الاذى الذي يصيبني نتيجة القنابل.ولهذا ترى ان لجواد ضمير حزبي لقاء عدم افشائه حركة الانقلاب ورضى بما سيصيبني من خسارة او مكروه وفي هذه اللحظة ايضاً عرفت السر في اجتماع جواد بنجيب الربيعي في بيتنا قبل يوم الانقلاب بمدة قصيرة جداً حيث طلب الي آنذاك تركهما في غرفة الاستقبال كما انني اعلم ان جواد متوقد بالروح الوطنية ومتحمس جداً لخدمة امته ووطنه والتخلص من نير العبودية والاستعمار.

وبينما انا غارق في هذه الافكار توجه إلي السيد عبد الحميد رفعت وفاجئني بقوله (ياب ماتروح البيتكم بالي نفسك ابلوة) وصادف في هذه الاثناء ان مر صديقي السيد عبد الحليم السنوي واستصحبني معه وتناولنا الغداء سوية ثم ذهبنا معاً الى بيت المرحوم (عبد المسيح وزير)نظراً للصداقة المتينة التي تربطنا واياه منذ زمن بعيد وقضينا ساعات فراغنا عنده واعتقد اننا قضينا سهرتنا الليلة عنده ايضاً وكان حديثنا طبعاً الوضع الراهن في بغداد نتيجة هذا الانقلاب، وقد علمنا بان الجيش قد دخل بغداد عصراً بقيادة الفريق بكر صدقي والذي كان قد توجه تواً بصحبة حرسه الضباط وبضمنهم جواد الى ديوان وزارة الداخلية لمواجهة السيد حكمت سليمان الذي كان موجوداً فيها لغرض تأليف وزارته عصر ذلك اليوم.وعلمنا أيضاً بان جعفر العسكري قد قتل نتيجة هذا الانقلاب. فأسرعت للعودة الى البيت لعلني اجد جواد لاستوضح منه هذا الخبر فلم أجده وسألت عنه في البيت فقيل لي انه لم يأت حتى الآن فنمت ليلتي قلقاً جداً ومتشوش البال وتمنيت لو قصر الليل كثيراً لاستقصي حادث الانقلاب بصورة صحيحة. استيقظت صباح اليوم الثاني من الانقلاب وتناولت فطوري بدون شهية وتوجهت تواً الى بيت عبد الحليم السنوي وتناولت حديث الانقلاب وتأليف الوزارة السليمانية وكان الحديث ممتعاً جداً لا ينضب ولا ينتهي زد على ذلك ما أوردته الصحف المحلية من التفاصيل عن حادثة الانقلاب. فعدت الى البيت ظهراً وكان سروري عظيماً عندما رايت جواد في البيت وقلت في نفسي انني لابد سأقف على اخبار صحيحة عن هذا الانقلاب ومقتل جعفر العسكري ولكن خاب املي حيث رأيته متأهباً للخروج من البيت وبيده شيئاً ملفوفاً في الكاغد فظهر لي بانه مسدس (وبلي) يحرس به صدقي حيث كان حارسه فبادر كل منا بالتحية الأخوية.

ورأيته مكفهر الوجه شاحب اللون ومتأثراً جداً والكآبة بادية باجلى مظاهرها عليه فلم اتمكن والحالة هذه مفاتحته بامر الانقلاب وتفاصيله فرأيت من المستحسن ارجاء ذلك الى وقت اخر اكثر ملائمة وهدوءاً فودعني قائلاً(انني مجبر مع زملائي بعض الضباط على حراسة بكر باشا وان مجيئي الى البيت كان بصورة استثنائية لغرض مشاهدتكم وتهدأة بالكم نحوي فقط) وهكذا تركني وخرج من البيت.

كيفية مقتل جعفر العسكري وبعد مضي ايام عدة قصار على الانقلاب اجتمعت بجواد في البيت ودخلنا في موضوع الانقلاب الذي كان حدثاً مهماً في تاريخ العراق السياسي وقد سر الجميع به شيباً وشباباً من ادنى العراق الى اقصاه .فقلت له لماذا اشتركت في هذا الانقلاب وانت غير مسؤول بتاتاً عن الاشتراك فيه فاجابني بقوله:- صدرت الاوامر الى كافة ضباط القوة الجوية الملكية العراقية قبل الانقلاب بيوم واحد وبضمنهم انا بضرورة الالتحاق بطياراتهم للاشتراك بالتمارين العسكرية السنوية. فقلت كيف جرى قتل جعفر العسكري فأجابني قائلاً:- كنا مجتمعين حوالي ٣٠ ضابطاً في مقر بكر باشا واذا بجندي من المقربين له جاء وهمس في اذنه فظهرت عليه علامة التأثر الشديد ولم يتمالك نفسه وبين لنا ان جعفراً قادم الينا فمن منكم يقتله فلم يجبه احد ثم كرر القول فلم يجبه احد ايضاً .

وكان واقفاً بجنبي المقدم جميل فتاح فقلت له بصوت خافت ماكو هناك غير القتل كالنفي او الحجز فقال المقدم جميل فتاح:اني صدك باشا ماكو غير القتل كالنفي او الحبس فرد عليه بكر باشا (لعد شنسويلة جنابك) وبعده اومأ بكر صدقي الى كل من الملازم جمال جميل والرئيس لازار والمقدم جميل فتاح وانا وطلب الينا الذهاب حالاً لقتل المرحوم جعفر باشا فركبت انا والمقدم جميل فتاح في سيارة وتتبعنا السيارة الاخرى التي تقل الملازم جمال جميل والرئيس لازار حيث لانعلم الجهة التي نقصدها وبعد مسيرة ماراينا عن كثب الملازم اسماعيل توحله متأبطا المرحوم جعفر باشا يتمشيان ثم نزل الملازم جمال جميل فتتبعه الرئيس لازار واما انا والمقدم جميل فتاح فنزلنا من السيارة الثانية فاستدرت حول السيارة لاعيق سيري لئلا اشترك في هذه الجريمة وتبعني المقدم جميل فتاح واذا بجمال جميل قد صوب فوهة مسدسه نحو جعفر العسكري واطلق عياراً نارياً فالتفت جعفر فصاح (لا ...لا) وخر صريعاً مضرجاً بدمائه وحيث كنا نخشى بكر باشا من الملامة لعدم الاشتراك في مقتل جعفر فاطلق كل منا طلقة بجانب المقتول تنفيذاً لامر بكر باشا فسالته اين دفنت جثة جعفر العسكري فاجابني قائلا: (بعد ارتكاب الجريمة وبعد غروب الشمس وحلول الظلام دفنت الجثة بصورة سطحية ومستعجلة من قبل بعض الضباط في بقعة ارض قريبة من نهر الوزيرية المندرس لاتبعد عن مخفر الشرطة في خان البير الابمسافة قليلة.ثم تابع حديثه فقال كان السيد شاكر الوادي الذي اشترك في عملية الانقلاب والذي اصبح ذا حظوة مرموقة في الدولة من قبل المرحوم بكر صدقي كان قد اقترح حرق الجثة لاخفاء معالم الجريمة.

ثم تابع الحديث بقوله: (عندما دخلنا بغداد مع الفريق بكر باشا توجهنا راساً الى بناية وزارة الداخلية عصراً وبعد تأليف الوزارة الجديدة من قبل فخامة السيد حكمت سليمان توجهنا مع الباشا الى دار الضباط فجلست مع قسم من الضباط وكنت متاثراً جداً واعصابي منهارة للغاية. وقلت في مجرى حديثي اذا كان الامر يتطلب القتل والاغتيال فلماذا لم يقتل ياسين باشا فهو اولى بالقتل ، ولم تمض لحظات واذا ببكر باشا شاخصا امامي ينظر الي شزراً.فلم اكد اقف لاداء التحية العسكرية اللازمة بادرني بقوله: (اذا كنت من المصممين اذهب وخذ بعض الضباط معك الى بيت الهاشمي واقتله ايضاً) فبعد ان تمالكت نفسي اجبته امن المعقول ياسيدي الباشا والهياج ضارب اطنابه حول بيت ياسين باشا من قبل الناس المتجمهرين المتحمسين تحيط بجماعته ان نقتله.فتركني بلا جواب). واعتقد بان هذه المناقشة قد اغاظت بكر باشا بحيث ذهب في ليلته مع حرسه الى بيت فخامة السيد حكمة سلمان وكان جميع الوزراء حاضرون هناك وفاتحه بقتل المرحوم ياسين باشا وأعوانه غير أن جواد وجميل فتاح قد عارضاه بشدة قتل اي احد اخر لان ذلك سيؤدي الى انشقاق الجيش ولما رأى فخامته ان الوضع قد تطور الى حد كبير هدأه وطمأنه بان كل شيء اصبح على مايرام ولا يوجد ضرورة لقتل أناس آخرين وبات بكر باشا وحرسه ليلتهم تلك في بيت السيد حكمت سليمان.

وعلى أساس ما تقدم اشمئز جواد كثيراً من نتائج حركة الانقلاب وتوترت العلاقة بينه وبين المرحوم بكر باشا ولم تمض ايام معدودة على الانقلاب حتى تملص جواد من حراسة بكر باشا وعاد الى وحدته في القوة الجوية العراقية للقيام بواجباته الأصلية.

د. محمد حسين الزبيدي
عن كتاب الملك غازي ومرافقوه

الضابط جواد حسين:
هكذا أصبحت قريباً من الملك

الملك غازي يمتطي فرسه

السيارة التي توفي فيها الملك غازي

عزيز علي كما عرفته (لقطات وآراء)

الحلقة الأخيرة

خالص عزمي

في ٢٦ تشرين الاول ـ أكتوبر ـ من عام ٢٠١٠ تمر الذكرى الخامسة عشرة على رحيل الفنان والشاعر والملحن العراقي البارز المرحوم عزيز علي؛ وما هذه الأسطر الا باقة ورد عطرة يفوح شذاها على قبره اعتزازا وتكريما.

آراء

ثانيا . النثر

بعيدا عن تصريحات وحوارات عزيز على في الصحف والاذاعة ؛ هناك ثمة آراء قيمة أخرى طرحها في طبعتين من كتابه؛ الاولى بعنوان (عزيز علي . أقواله ؛ سيرته ؛ فنه) والصادرة عام ١٩٩٠ عن دار النهضة . بغداد ـ ؛ والثانيــة بعنوان (عزيز علي ـ تاريخ وتراث) بخط يحيى سلوم العباسي والصادرة عام ١٩٩١ عن مطبعة مصدق الجنابي . بغداد . وهي مزيدة ومنقحة؛ هذا بالإضافة إلى أحاديثه التي قدمها من تلفزيون بغداد عام ١٩٦٦ نحت عنوان (في رحاب الفن). وكذلك بعض المقدمات التوضيحية لعدد من أقواله الملحنة:

من هذه النثريات ومن بعض حواریاته معي أستطيع أن أوجز في أدناه أهم وابرز ما طرحه على بساط البحث من آراء سبكت بلغة عربية فصيحة ...؛ طالما أعجبنا بها وبرصانتها وهي منجمة بالآتي :

× بديهي أن الغناء ليس مجرد ميوعة ورخاوة عابثة؛ينساب بشكل آهات والتواءات صوتية؛ ترتفع وتنخفض؛ بانسجام ورتابة حينا؛ وتدوي بلا ربط؛ وبلا توافق مع معاني الكلم في بعض الأحيان. فالغناء أسلوب رقيق من أساليب التعبير عن المشاعر والأحاسيس ينفذ (إذا ما أحسن الملحن تلحين كلمات الأغنية؛ واجاد المغني أداءها) الى شعاب القلوب؛ ويشق طريقه الى أعماق النفوس. وهو إلى جانب ذلك مرآة تعكس صور الحياة العامة في بلد المغني؛تتجلى فيها

أماني شعب ذلك البلد وآراؤه وميوله وأهدافه .

× إن مما لاشك فيه هو أن تحريم اختلاط الجنسين في مجتمعنا؛ إلى عهد قريب؛ (إلى سبعين سنة مضت) وعزل المرأة عن الرجل؛ وإخفاءها وراء الستر والحجب والبراقع . واعتبار التقاء المرأة بالرجل؛ لأي غرض كان خروجا عن العرف والتقليد؛ ثم أن المحاولات التي بذلها المستعمر في سبيل إذلال نفوسنا؛ وتحطيم معنوياتنا ؛ واشاعة روح التخاذل والتواكل في مجتمعنا؛ لم تذهب هباءً؛ فقد عكست نتائجها أنغام أغانينا؛ المثقلة بالتأسي ؛ والتظلم ؛ والندب والنواح. والأدهى من ذلك إننا كنا في العراق . مثلا . إلى سبعين سنة خلت؛ نعتبر ممارسة الموسيقى كمهنة للتعيش والارتزاق؛ بحكم تقاليدنا؛ ضعة وسبة على المواطن الشريف .

× مونو ـ لوج ؛ كما يعلم الكثيرون؛ مصطلح يوناني لاتيني؛ مركب من كلمتــين (مونو) تعنــي واحد . فرد و(لوج . لوجوس) تعني (الكلام أو الخطاب) وتركيبهما مع بعضهما يعنيان (المقال . الخطاب).

والمونو لوج؛ هذا هو كأي مقال؛ وكأي خطاب؛ يجوز أن يكون نثرا؛ ويجوز أن يكون شعرا؛ ويصح أن يلقى إلقاءً؛ كما يصح أن يلحن تلحينا؛ حسب متطلبات الحال؛ ومقتضيات المقام؛ شريطة أن يستهدف غاية معينة مفيدة. كما لابد له ؛ كأي عرض يراد له النجاح؛ أن يخرج إخراجا مبتكرا مقبولا؛ فان لم يلتزم المقال (المونولوج) بهذه الشروط الرئيسة؛ فقد قيمته الموضوعية وأصبح لغوا وخلطا. لم يكن هذا اللون من الغناء معروفا في أوساطنا الشعبية ولا مألوفا؛ حتى برز في إذاعة بغداد؛ منذ تأسيسها في الأشهر الأخيرة من سنة ١٩٣٦؛ شاعر شعبي من طراز جديد ؛ أخذ يزاول نظم وتلحين أشعار ؛ تختلف وزنا ولحنا ومعنى عن أزجالنا الشعبية؛ محدودة المعنى والمرمى؛ وقتذاك؛ سرعان ما تجاوبت أزجاله وأقواله مع مشاعر الناس؛ بمختلف أعمارهم ومداركهم؛ شيوخا وشبابا ؛ رجالا ونساءً؛ المتعلمين منهم والأميين. كان ذلك الشاعر هو أنا (عزيز علي). ×ولا يدفعني إلى النقد سوى مشاهداتي مواطن الخطأ والزلل في الأقوال والأفعال غير الإنسانية التي تصدر ممن يدعي الإنسانية. فأنا لم انفك؛ منذ ميلاد إذاعة بغداد في أواخر سنة ١٩٣٦، أستعرض بأقوالي الملحنة مشاكل حياتنا الاجتماعية؛ وأذكي بها الروح المعنوية في المواطنين الأخيار؛ وألهب مشاعرهم الوطنية والقومية؛ معلنا الحرب على الاستعمار والصهيونية. ولم يسكتني الحيف الذي لحقني من جلاوزة السلاطين؛ طيلة كل هذه السنين .

× فلسطين : كان اعتداء الصهاينة المسلح على العرب الآمنين العزل؛ في ارض فلسطين العربية؛ واستيلائهم على أموالهم وممتلكاتهم؛ من عمارات ومعامل ومزارع وبساتين؛ وقتلهم الشباب والشيوخ؛ وذبحهم الأطفال الأبرياء أمام أمهاتهم ذبح الخراف؛ وطعنهم بطون الحبالى من النساء بالسكاكين وبالحراب؛ حسب الخطة التي رسمها المستعمرون؛ أثناء الحرب العالمية الثانية؛ قد أثار استياء العالم الحر واستنكاره. فسارع شباب العراق متطوعين ؛ لنجدة إخوانهم العرب هناك.

كان ذلك عام ١٩٤٩. (لابد من التذكير بان عزيز علي بادر عندها بإذاعة ندائه وتوسله إلى الأمة العربية؛ يستنفرها للثأر بمقاله الملحن ـ فلسطين .)

× كان المسؤولون عن رقابة الصحف في مديرية الدعاية العامة في العهد الملكي يعمدون؛ في ظروف خاصة إلى شطب فقرات من المقالات المزمع نشرها في الصحف المحلية؛ ويقتطعون صفحات كاملة من المجلات العربية والأجنبية في محاولة لطمس الحقائق وحجبها عن الشعب. وفات الرقباء أن هناك إذاعات عربية وأجنبية شرقية وغربية تنقل للأعمى والبصير؛ للعالم والجاهل؛ للامي وللمتعلم ما يدور هنا وهناك في العالم من وقائع وأحداث. وقد تعلق على تلك الوقائع وتكشف حقائقها ومراميها فتنورّ الأفكار وتفتح الأبصار. فبادرت بإذاعة مقالي الملحن بعنوان (الراديو) .

× حول المقام العراقي: قلت له لم أؤيدك فيما ذهبت إليه حول جذور فن المقام ولا تعميمك حول جهل قرائه وأميتهم وانصرافهم إلى السطحية غير المفهومة في قراءة الشعر والبستات المكررة؛ ولكنني أفهم نقدك اللاذع لبعض القراء دون غيرهم؛ ولكنني افهم دعوتك لرفع الدمدمات والهمهمات

كان المسؤولون عن رقابة الصحف في مديرية الدعاية العامة في العهد الملكي يعمدون؛ في ظروف خاصة إلى شطب فقرات من المقالات المزمع نشرها في الصحف المحلية؛ ويقتطعون صفحات كاملة من المجلات العربية والأجنبية في محاولة لطمس الحقائق وحجبها عن الشعب. وفات الرقباء أن هناك إذاعات عربية وأجنبية شرقية وغربية تنقل للأعمى والبصير

والعبارت والكلمات الاعجمية من صلب المقام لكي يكون بلغة صافية لا حوشي ولا غريب يفسدها؛ قال فناننا الكبير: بالطبع لا يمكن لي أن أعمم هذا الرأي على الجميع؛ ولكنني اقصد الأكثرية الساحقة منهم؛ فبعد أن فتحت بعض المعاهد الفنية؛ لابد أن تنحسر فوضى الأمية بين قراء المقام؛ ولكن الذي لن أغير فيه رأيا هو ضرورة رفع جميع الكلمات الأعجمية من المقام لكي ينسجم هذا مع القول بأن جذوره تمتد إلى العصر العباسي؛ بل وأبعد؛ ثم هناك وجهة نظر أصر عليها؛ ما هي الضرورة إلى التحرير (مقدمة المقام) قبل الدخول في صلب المقام؛ إذا كان باستطاعة الموسيقى أن تحل مكانه؛ أليس ذلك أجمل بان تسمع الأنغام الموسيقية بديلا عن ذات الصوت الذي يحرر ثم يغني نفسه المقام ، وأضيف الى ذلك ايضا ؛ انني لا ارى كل المقامات تفيد الخطاب الرومانسي في التعبير عن الشوق ؛ خذ على سبيل المثال هذه الصورة لجندي يعود لتوه منهكا من الجبهة ويريد أن يغني لحبيبته أو خطيبته كلاما فيه لوعة وهيام؛ فتجده قد وقف أمامها لفترة من الزمن وهو يحرر لها مقاما يحتوي على كمية غير مفهومة من الكلمات الاعجمية أو او من الهمهمات والدمدمات (ياريار يار يار ... الخ) ليقول لها بعد ان يشويها شياً (أنا احبك)؛ هل ترى أن ذلك ينسجم مع روح العصر؛ ثم لماذا هذا التكرار الممل للبستات ذاتها في كل مرة ومن اغلب القراء إلا يمكنهم استحداث كلمات أخرى وأنغام أحدث (يا زارع البزنكوش أو داري داري انا داري؛ أو دك الحديد على الحدي تسمع له رنه؛ ما ريده ما ريده الغلوبي؛ ... الخ)؛ هنا توقف وقال هذا أهم ما عندي الآن: قلت له: احترم وجهة نظرك ومنطقك؛ ولكن هذه هي طبيعة الكلاسيكيات الغنائية لكل امة من الأمم التي لها تراث تقدمه للجمهور في كل أنحاء العالم؛ وأنني معك فقط في رفع الكلمات الأعجمية من المقام وإبدال بعض البستات؛ بأغنيات تكون رقيقة في التعبير وصيغة الكلمة مما يتلاءم وروح العصر؛ أما التحرير الذي يسبق المقام فهو جزء من قدرة المغني على الابداع في المقدمة قبل الدخول في المقام المختار للإنشاد؛ واراه ضروريا اذا ما استبدلت كلماته بأخرى مفهومة المعنى؛ بل حتى لو اقتصر التحرير على مجرد صوت منغم دونما أية كلمات. قال وهو ينظر إلى أعلى: أنها وجهة نظر تمسك بالعصا من الوسط ؛ وهي مقبولة قد تحل الأشكال .

× آخر مقال : كتب عزيز علي (في المصدر الذي نوهنا به من قبل) عن آخر ما ألقاه من الإذاعة هذا موجزه: لم تكن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ مفاجأة كبرى للكثيرين من ابناء العراق الاحرار الغيارى ؛ لاسباب كثيرة ليس هذا مجال ذكرها؛ أقصد ان الثورة كانت متوقعة في كل حين؛ وكان طبيعيا أن أبادر بتأييدها من يومها الاول؛ لاسيما وقد سمعت المذيع في الإذاعة ينادي صاحب التلفون رقم ٥٨٣٨٥(وكان هذا الرقم هو رقم تلفوني وقتئذ) و يطلب حضوري الى الاذاعة فورا. ..... وحيث أني لم أكن اعرف أهداف هذه الثورة؛ ولا اعرف هويات القائمين بها؛ سوى انها ثورة على فساد الحكم؛ وانها بالتالي ثورة على الاستعمار وأذنابه؛ فقد صرخت مع الشعب بوجه الاستعمار قائلا له
(نو.. لا) لهنانة وبس؛ والقيته إلقاءً؛ اذ لم يتسن لي الوقت الكافي لتلحينه؛ وفي صباح اليوم التالي؛ القيته ملحنا .
بحيل الله وزود الشعب وعزم الأبطال.
راح من اليوم وعاد نحقق الآمـــال
ونجمع شمل الامة العربية بكل الاحوال
يا وطن أحنا بها اليوم بكل شي نبخس
بالمال بالاولاد نبخـس بالنفـــس
نفدي كل شـــي لأجلك انته المقدس
الخاتمة : لقد دعوت في مرات عدة وانا اكتب عن بعض الشخصيات العراقية المهمة والمؤثرة؛ ان تلتفت الجهات المسؤولة ؛ الى تخليد مثل هؤلاء الافذاذ ؛ فتقيم لهم متحفا او أكثر للحفاظ على تراثهم ونشرما خلفوه من نتاج على مختلف ألاصعدة والاساليب كتلك التي سبقنا اليها العالم المتحضر في طريقة الاحتفاء والتكريم ليس الآني منه حسب؛ بل والدائم وهو الاجدى . والفنان الشاعر المبدع عزيز علي هو لاشك واحد من تلك الكوكبة العراقية اللامعة في سماء العراق ؛ ممن يستحقون مثل هذا التكريم .
وإثراءً لهذا المقترح فأنني اطرح هنا بعضا من أساليب الإفادة من تراث هذا الفنان المبدع واستذكاره؛ ومنها: تأسيس موقع الكتروني للتعريف به وبنتاجه؛ تعليم فنه تلحينا وأداءً في معاهد الموسيقى المتوفرة؛ طبع و نشر اشعاره باعتبارها صيغة خاصة في طريقة التعبير وأسلوب النظم؛ تحديد يوم خاص لإقامة حفل تردد فيه أقواله كما كان يلقيها من قبل نخبة من الفنانين الشباب كتقليد يدلل على الوعي بقيمة الأهداف التي تبناها إضافة إلى القيمة الفنية التي تستحق كل التقدير.

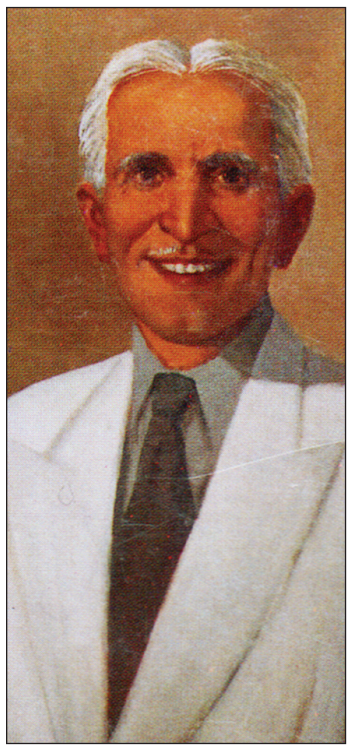

متى افتتحت أول حديقة عامة في بغداد؟

لقدْ اشتهر العراق منذ القدم بالحدائق والمتنزهات.. وتحدثنا كتب التاريخ بعض الشيء عنها، ولعل أبرزها الجنائن المعلقة التي شيدها البابليون، التي غدت فيما بعد وكما هو معروف من عجائب الدنيا السبع، كما نالت الحدائق والمتنزهات اهتماماً من لدن العباسيين وتناولها الشعراء كثيراً في قصائدهم، إلا ان الحدائق والمتنزهات قد أصابها الاهمال خلال الحكم العثماني للعراق، ولم يكن لها وجود ما عدا حديقة واحدة تسمى حديقة (ملة بقجه سي) كما لم تكن هناك سوى حديقة واحدة إبان الاحتلال البريطاني للعراق وتسمى حديقة (مودبستان) وكانت تقع في منطقة الصالحية في بغداد.
وبعد نيل العراق استقلاله عام ١٩٣٢ أولت أمانة العاصمة الحدائق والمتنزهات اهتماماً ملحوظاً، فقامت بافتتاح العديد منها ونظمتها على أساس حدائق الاستقبال ومتنزهات ومشاتل وحدائق للأطفال وساحات عامة وشوارع مشجرة ومشاتل وحدائق المسبح.. كما أسست دائرة خاصة للعناية بها أسمتها (مديرية الحدائق)، وقد أنيط بها أمر إنشاء الحدائق والعناية بها، فأنشأت الكثير منها، وعملت على ردم المستنقعات والخنادق التي كانت تتجمع فيها المياه الآسنة والأوساخ،التي أصبحت مصدراً للأمراض وللروائح النتنة، فإحالتها الى حدائق غنّاء تبهج الناظر بمناظرها الخلابة وروائحها الزكية، وأحاطت شرقي بغداد بغابة من اشجار (اليوكالبتوز) و(الكازولينا) و(السيسم) وغيرها من الاشجار، واهتمت أمانة العاصمة بغرس الأشجار على جوانب الشوارع الرئيسة والمهمة التي يزيد عرضها عن (١٢) متراً لتجميل شوارع بغداد وتلطيف المناخ، بلغ عدد الحدائق في العاصمة بغداد ضمن حدود الأمانة في مطلع خمسينيات القرن الماضي (٥) حدائق استقبال و(٢١) متنزهاً و(٣٣) حديقة ومتنزهاً صغيراً و(٩) حدائق مخصصة للأطفال و(٣٩) حديقة للساحات ومشتلاً واحداً وغابة شرقي بغداد.. وقد ازدانت هذه الحدائق بأنواع الزهور والأشجار. ومن أبرز حدائق جانب الكرخ من بغداد حديقة يوسف السويدي وهي حديقة عامة مساحتها (٣٠٠٠) متر مربع وعدد النباتات المزروعة فيها (٩٦٩) نبتة وحديقة خضر الياس وحدائق تمثال مود وحدائق تمثال الملك فيصل والمتحف والمنصور وقصر الرحاب وغيرها.. أما حدائق منطقة الكاظمية فكان أبرزها حديقة تحت الجسر الحديد وحديقة الملكة عالية والجوادين والمرتضى والاشتر وغيرها أما حدائق الرصافة الممتدة في الباب الشرقي وحتى باب المعظم فكان أبرزها حديقة الملك غازي (الأمة حالياً) وهي أكبر وأجمل الحدائق الموجودة في العاصمة بغداد والكائنة في الباب الشرقي، وحدائق بهو أمانة العاصمة وتقع في باب المعظم وحدائق جعفر العسكري وشهرزاد وباب الشيخ وفرج الله وساحات زبيدة والوصي والملك فيصل الثاني ومنارة سوق الغزل وغيرها.. وضمت منطقة الأعظمية عدداً كبيراً من الحدائق أبرزها حديقة المعرض وهي حديقة عامة مساحتها (١٢٠٠٠) متر مربع واحتوت على (٢١١٦) نبتة وتلتها من حيث المساحة حديقة النعمان التي بلغت مساحتها (٧٥٠٠) متر مربع وهي حديقة عامة وللأطفال احتوت على (٨٦٩) نبتة وتلتها حديقة (هيبة خاتون الكبيرة) وهي حديقة عامة أيضاً بلغت مساحتها (٦٠٠٠) متر مربع احتوت على (٢٩٥) نبتة ومن حدائق هذه المنطقة الأخرى حدائق أبي طالب وابن هشام والربيعين وشارع الصاحب بن عباد وغيرها في حين احتوت حدائق أبي طالب على عدد أكبر من النباتات المزروعة بلغت (٦٧٣) نبتة تلتها حديقة شارع الصاحب بن عباد بلغت (٣٢٣٤) نبتة واحتفظت حديقة بارك السعدون بأجمل حدائق منطقة البتاويين والكرادة الشرقية وهي حديقة عامة بلغت مساحتها (٥٠٠٠) متر مربع وعدد النباتات المزروعة فيها (٤٢٠٩٠) نبتة وأكبر حديقة من حيث مساحتها هي حديقة ساحة الحرية وهي حديقة عامة بلغت مساحتها (١٠٠٠٠) متر مربع ومن حدائق هذه المناطق الأخرى حديقة شارع الكرادة والنصر والعلوية الجديدة وساحة الفتح وكرد الباشا وحدائق العلوية المستطيلة وساحات شارع العطار وغيرها، والملاحظ عن حدائق وساحات الخمسينيات لاسيما الرئيسة منها أنها نظمت تنظيماً هندسياً جميلاً يدل على ذوق رفيع وحسن اختيار للمكان وتنسيق رائع للمزروعات وخضرة مستديمة تسر الناظر إليها وتريح النفس.

عن كتاب بغداد لفخري الزبيدي

داود كباي ..
شخصية عالقة في الذاكرة العراقية

مازن لطيف

مثلما نجد بوابات أضرحة أولياء الله مخضبة بالحناء نذرا أو أمل بشفاعة أو عرفان في رد طلب وأداء نذر، فأن باب عيادة الدكتور (كبايه) كانت تتسم بالأمر عينه بالنسبة للعامة، ولاسيما في مدينة العمارة. وحينما رحل إلى بغداد، كانت جموع "أهل العمارة" على موعد مع حافلة خشبية منذ العام ١٩٦٥ يعلن قائدها (كبايه..كبايه)، مساء كل يوم خميس في وسط العمارة، ويشرع بتسجيل الناس ليغادروا بهم الجمعة مبكرا. وتذهب الجموع الى بغداد لمعايدة بركة الدكتور كبايه والعودة أدراجها مساءً مكللة بالشفاء المؤزر بعد علاج نذهب الى أنه يبدأ من إيمان العامة بقدراته الطبيب الروحية واعتقادهم بملكاته ويقينهم المسبق بالشفاء. ولم يستحصل منهم مبالغ ولاسيما فقراءهم، بل بالعكس كان يقدم لهم الدواء مجانا في أكثر الأحيان.

كل العراقيين في العقود التي سبقت انقلاب البعث يتذكرون بشغف تلك الشخصية الأُلعبية التي كادت أن تكون أسطوريه في القدرة على إشفاء الناس من أمراض عضال، حتى نسجت حولها قصص الإعجاز وأنواع الخرافات، وكاد الرجل غير راغب أن يتبوأ مقام الأولية والصالحين، في مجتمع يئن الفاقة بكل شيء.

فما تزال الاجيال تتناقل اخباره وافضاله على ابناء أهل العمارة، حيث كان داود يملك بيتاً من طابقين في منطقة التوراة في المدينة، حيث يشغل الطابق الاول هو وشقيقته اما الطابق الثاني كان يشغله كعيادة لمعالجة المرضى حيث يأتون من قرى العمارة من الحلفاية ومسعيدة والميمونة والطوّيل والمجر وحتى هور الحويزة .وكان يقدم لهم بالمجان المبيت في بيته تلطفا وكرما عراقيا.

ومازال كبار السن في العمارة يتذكرون كيف التقى الدكتور داود في احدى مقاهي العمارة برجل ومعه طفلته التي كانت فاقدة للبصر وكان كباي حديث العمل في مجال إختصاصه ،و لم يمضي سوى سنتين على إجازته كطبيب، وكانت الطفلة عمياء منذ الولادة ولاينفع معها علاج .حيث قال له كباي انه يمكن علاجها ويعيد النظر اليها ، واجريت لها عملية مجاناً ،وتكللت بالنجاح وعاد للطفلة نظرها ومنذ ذلك الحين أشاع شهرة ونسجت قصص عن كرامات الدكتور داود كباي في المدينة.

أشتهر الدكتور داود كباي(١٩١٥-٢٠٠٣) في بغداد والعمارة بأسم (داود كبايه). واسم كباي "GABBAY" جاء من مهنة الجابي بالعبرية، وهي مهنة من يقوم بجباية التبرعات للكنيس أو المعبد اليهودي، ويقوم بادارة حساباته. واسم عائلته كباي تداوله اليهود السفرديم الشرقيون وليس الإشكناز الغربيين،وثمة عائلة كباي ببلدان الشرق الاوسط مثل ايران والهند وقد يكون اصل عائلة كباي من اصل عراقي حدث وأن نزحوا شرقاً منذ العهود القديمة.

تخرج الدكتور داود من الكلية الطبية العراقية في دورتها الخامسة العام ١٩٣٨.

ولم ينجح علميا كطبيب بقدر نجاحه الإجتماعي، وحبه في قلوب الناس. حيث أنتقل الى بغداد عام ١٩٦٤ ،وأفتتح عيادته في منطقة البتاوين.

ولا نستغرب شغفه بالعمارة وأهلها، فالوجود اليهودي قديم فيها، والنبي العزير(عزرا) أحد دالات القدسية لهذا المكان. ونعلم من ان جمعية الإتحاد اليهودي(الإليانس) فتحت أول مدرسة للبنات في العمارة عام ١٩١٠، ولم نسمع أن بادر لذلك الفعل الحضاري الخير سلطان الترك أو باشا مندوب عنه أو رجل ميسور أو إقطاعي مترع بما كسبه من الفلاحين، أو معمم دين من مسيري الأوقاف أو جامعي الزكاة والخمس..

وبعد إنتقاله الى بغداد ،استقر في دار جديدة واصبح مقراً لعيادته وواصل اهل العمارة الحضور الى عيادته الجديدة. وقد تعرض كباي عام ١٩٦١ الى مداهمة بيته في بغداد من طرف رجال الامن بذريعة انه جاسوس لاسرائيل وتم مصادرة امواله (واحد وعشرون ألف دينار عراقي) الموجودة في الدار .

وتم توقيفه عدة ايام حتى اخرج بعدها بكفالة ، مما دفعه أن يذهب الى وزارة الدفاع حيث مقر الزعيم عبد الكريم قاسم .

وكان كباي زميله في الدراسة وبعد استقبال حار ومقابلته حميمة للزعيم وحوار خواطر وذكريات عن ايام المدرسة ، تساءل الزعيم عن حاجته فأستل وصل المصادرة ليريه إياه. وسرعان ما بادر الزعيم الى كتابة ملاحظة على الورقة ،وأوعز الى مرافقه وصفي طاهر وسلمه قصاصة من الورق كتب عليها "يعاد المبلغ الى الدكتور داود فانا اعرفه ولايمكن ان يتجسس على الدولة".

بعد انقلاب البعث على السلطة عام ١٩٦٨ بدأت المضايقات الشرسة للدكتور كباي حيث اوقف عن الخدمة في وزارة الصحة بحجة انه كان يصف مادة الكورتيزون الى مرضاه واعتقل في قصر النهاية عام ١٩٦٩ من تلك السنة السوداء بالنسبة ليهود العراق وأحرارهم على العموم، حيث تعرضوا لابشع حملة وزجو في السجون واعدم عدد منهم ومن ضمنهم شباب لم يبلغوا السن القانوني .

لقد عانى كباي واجبر على تحمل عطش شديد اضطر ان يشرب من جراءها بوله!.كل تلك المآسي دفعته أن يهرب من العراق سيراً على الاقدام من قصر النهاية ثم سافر إلى إيران ثم وصل الى لندن وقام بممارسة مهنته بصورة شخصية لليهود المقيمين في لندن لانه لم يعد يهتم بتحصيل التأهيل الانكليزي لممارسة الطب في لندن، وكان يعمل طبيب احتياط في بعض العيادات البريطانية من أجل ديمومة العيش.

كان الكثير من العراقيين والعرب يأخذونه بصورة شخصية للتشاور مع الاطباء في شارع هارلي ، ويذكر المرحوم يعقوب يوسف كوريه انه التقى به عام ١٩٧٤ في لندن وذكر له انه احد مرضاه الذين يعالجهم في بغداد وتشكر منه وذكر له بمرارة انه أودع اموالاً أمانة عند بعض معارفه الذين أنكروها عليه تباعا.

كان كباي ينفث الحسرة في لندن عن الطريقة غير اللائقة التي لاقاها في وطنه العراق ، وعادة ما أعاد على مسامع ملتقيه الذكرى الطيبة وخواطر عن طيب الناس، التي انقطعت عام ١٩٦٩ بعد وطأة غمة البعث، وانتهت بعدما اجبر قسراً للتوقف عن مهنة الطب ولم يرغب قطعاً بالعودة الى العراق.

وتذكرنا سيرته بالمرحوم علي الوردي الذي نبذ عن الأداء في نفس الفترة ١٩٧٠، وهكذا مكث الدكتور داود على الهامش ومات منسيا، فرحمة الله ترعاه.

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير : علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون